وحده الشاطئ يبكي

رواية

قاسم محمد كوفحي

وحده الشاطئ يبكي

وحده الشاطئ يبكي

رواية

قاسم محمد كوفحي

• **وحده الشاطئ يبكي**

(رواية)

• **قاسم محمد كوفحي**

• **طبعة أولى 2025**

• **الإخراج الفني: سمير اليوسف هاتف: 0799677569**

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2025/3/1285)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب	**: وحده الشاطئ يبكي**
تأليف	**: كوفحي، قاسم محمد محمود**
بيانات النشر	**: عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع، 2025**
الوصف المادي	**: 194 صفحة**
رقم التصنيف	**: 811.03**
الواصفات:	**: / الروايات العربي / / الأدب العربي/ / العصر الحديث/**
الطبعة	**: الطبعة الأولى**

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

• **(ردمك): 978-9923-23-239-2** ISBN

• جميع الحقوق محفوظة للمؤلف. لا يُسمَح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبَق من المؤلف.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the author.

الإهداء

إلى رفيقة الدرب، أم سياف،

إلى من تشبه البحر في عمقه، والقمر في ضيائه، والسحاب في عطائه...

إليكِ، يا من كنتِ المرفأ الآمن حين تعصف بي أمواج الأيام، والسند الذي لا يميل، والنور الذي يضيء دروبي.

هذه الرواية لكِ، كما قلبي وحروفي؛ فكل كلمة فيها تحمل بعضًا من روحكِ الدافئة.

بكل الحب والتقدير،

قاسم

القسم الأول

تحت معرّش الدوالي

في أعماق الريف الهادئ، حيث ينسج السكون خيوطه مع لحظات الزمن البطيئة، يقع بيت ريفي صغير يتربع في أجواء تمتزج فيها الهدوء والجمال البسيط. تمتد الجدران الطينية القديمة بشكل طبيعي، وكأنها تحمل قصصًا من عصور مضت وأسرارًا ما زالت حبيسة الصمت. كل حجر فيها يحمل بصمة الزمن، يمتزج بلون دافئ يتناغم مع تفاصيل الحياة الريفية. تبدو الجدران وكأنها تحتضن سنوات من الذكريات التي لم تُروَ، تروي حكايات الأجداد وأحاديثهم العميقة التي ظلت عالقة في الهواء.

خيوط ضوء الغروب الباهتة تتسلل عبر الشقوق البسيطة في الجدران، لتخلق مزيجًا رائعًا من الألوان المتداخلة. أشعة الشمس التي توشك على الغروب ترسم على الجدران خطوطًا ذهبية هادئة، تضيء المكان بلون دافئ ومضطرب في ذات الوقت.

تتدرج الألوان برقة، من الذهبي إلى البرتقالي الرقيق، الذي يمتد في الأفق البعيد وكأنما يرسم لوحة من الحلم. السماء تبدو ملبدة بالغيوم التي تتجمع فوق قمة الأفق، وكأنها تستعد لقطرات من المطر لتغسل الأرض وتجعلها تتنفس من جديد. تلك الغيوم الداكنة تعانق الأفق، وكأنها تتناغم مع المشهد الهادئ، لتحول السماء إلى سجادة رمادية داكنة تحمل بين طياتها بوادر الأمطار التي ستأتي.

تتسلل الريح الخفيفة بين الأشجار، تعزف على أطراف الأغصان بألحان رقيقة، وكأنها تهمس بأسرار الطبيعة بخفة ونعومة. يملأ صوت الرياح مع الهمس الخافت للطيور التي تحوم هنا وهناك الأجواء بعبق الريف وهدوئه. يجسد هذا المشهد الساحر الصمت في أبهى صوره، حيث يبدو كل شيء نائمًا، ولكن هناك إيقاع داخلي متجدد، كأنه موسيقى طبيعية لا تنقطع.

في هذا البيت الريفي، الذي يبدو وكأنه انعكاس لعالم بعيد عن ضجيج المدن وصخبها، تجد الروح طمأنينة لا توصف. بين تلك الجدران الطينية القديمة، تشعر وكأنك عدت إلى زمن بسيط، حيث لا تعجل ولا ضغوط تعكر صفو الحياة. هنا، في هذا المكان، يسير الزمن بهدوء، مما يمنحك فرصة للاستمتاع بجمال الطبيعة ونقاء الأفق البعيد. إن المكان ليس مجرد بيت، بل هو ملاذ

للحالمين والمفكرين، الذين يبحثون عن الصفاء والسكينة وسط عالم يركض باستمرار.

في قلب الحديقة الريفية، حيث تتناغم النسمات بين أغصان العنب، يجلس أبو حازم وأم حازم تحت ظلال الأشجار، ينسج الاثنان علاقة متآلفة مع الطبيعة في لحظة سكون، تتراقص الأوراق برقة مع نسيم الريح، وكأنها تروي قصة حبهما. تغرب الشمس بخجل خلف الأفق، تاركةً لوحة فنية تتألق بألوان الذهب والورد.

يجلس أبو حازم وأم حازم على كراسي من القش البالي، حيث تتشابك أيديهما في هدوء، وكأنها تحتضن كل الذكريات التي عاشاها معًا. تراقب عيونهما الأفق البعيد بحنين، حيث تتغير الألوان أمامهما في تناغم جميل، كأنها قصيدة خريفية طويلة. تحمل نظراتهما شوقًا للماضي وانسجامًا مع الحاضر، وكأنهما يعيشان في حلم هادئ بعيد عن ضجيج العالم.

في هذه الزاوية الريفية النائية والمعزولة، يسود الصمت بسحر غامض وعميق، وكأن الهواء نفسه قد تآمر ليحبس أنفاسه. لا يُسمع أي صوت، ولا ضجيج يعكر صفو تلك اللحظات الرقيقة التي تنساب كتيارات نهر هادئ، تنزلق دون أن تُلاحَظ في أعماق الروح. كل شيء من حوله مشبع بجودة لا تُوصف، وكأن الزمن قد توقف في مسيره المستمر، تاركـًا المكان مليئـًا بالسلام والهدوء. الصوت

الوحيد الذي يكسر هذا السكون العميق هو همس الرياح، وهي تهمس برفق عبر أوراق الأشجار المرتعشة، كما لو كانت تعزف سيمفونية طبيعية هادئة، في تناغم تام مع صمت العالم من حولها.

الرياح تتسلل بلطافة بين الأغصان، تهب بخفة، كأنها همس غامض يحمل بين طياته سرّ المكان. تلك الحفيفات الخفيفة تملأ الأجواء برقة تلامس حواسّك بلطف. إنها ليست مجرد ريح عابرة، بل صدى لطيف يعزف ألحان الطبيعة في أنقى صورها. تحت ظل الأشجار العتيقة، يتراقص الصمت مع تلك الأنغام الرقيقة، وكأن الزمن قد استسلم للهدوء وأعطى الأولوية للطبيعة لتعزف سيمفونية لا يمكن سماعها إلا داخل هذا المكان الريفي.

أما العصافير التي تحوم من حول الأشجار فهي الأخرى تُمضي في رقصات خفيفة، متجاوبة مع هذا الصمت العميق. أصواتها الهادئة تنسجم مع الهمس الذي يحوم في الهواء، كأنها تعزف ألحانًا خافتة تذوب في الأفق البعيد. تغريدها الرقيق ينضح بنغمة من السكينة، وكأنها تعلن عن وجودها برقة، لكنها في ذات الوقت تجعلك تغرق في عالمها الهادئ، فتشعر وكأنك جزء من هذا الهدوء المتجدد.

في كل زاوية من هذا المكان، تجد تفاصيل صغيرة تعزز هذا الشعور بالسكينة. الأفق البعيد، الذي يغمره ضوء الغروب الباهت،

يضيف لمسة من الدفء إلى المشهد، ويجعل كل شيء يبدو وكأنه جزء من لوحة طبيعية تتناغم ألوانها بهدوء. حتى العصافير والأشجار والخضرة التي تغطي الأرض تبدو وكأنها تنتمي لهذا العالم الذي يعكس جمال الطبيعة بكل تجلياته.

في هذا المكان، الصمت لا يشعر به كحالة من الفراغ، بل كدعوة عميقة للتأمل والارتباط بالطبيعة. لا وجود للأصوات المزعجة، بل أصوات الهمس والطيور والعصافير تتماشى بانسجام مع هذا السكون الساحر، ليصبح المكان أشبه بملاذ روحي بعيد عن ضوضاء العالم الخارجي. هنا، تجد نفسك تبحر في بحر من الهدوء، حيث كل شيء حولك يتحدث بلغة هادئة تجعل من اللحظات الصغيرة لحظات غنية بالمعنى والسكينة.هنا، في هذا البيت الريفي البسيط، حيث تنسج الحياة نفسها بنقاء، يجد أبو حازم وأم حازم ملاذاً للراحة والسكينة. يشعرك المكان وكأن الزمن يعيد تدوير نفسه بحكمة، ليمنحهم فرصة للاستمتاع بجمال اللحظة بعيداً عن ضغوط الحياة اليومية. إنه المكان الذي يجمع بينهم وبين الطبيعة، حيث الأحلام القديمة ما زالت حية، والأمل يتجدد بين ذراعي الريف الهادئ.

أبو حازم، بملابسه البالية وعكازه الخشبي الذي يعكف على دعمه بيده المتعبة، يحدق بصمت في الأفق البعيد، حيث لا شيء

سوى صمت الأشجار العتيقة التي تحتضن البيت بحنان. تنعكس في عينيه حكمة عمر طويل قضاه في هذا المكان الهادئ، حيث الزمن يبدو وكأنه توقف عند أعتابه، تاركًا كل شيء في حالة من السكون والطمأنينة. تمر السنين ببطء، ولكن أبو حازم لا يبدو مشغولاً بمراقبة عقارب الساعة، بل مستسلمًا لهذا الهدوء الذي يحيط به.

أم حازم تجلس بجانبه، بملامحها الرقيقة وخدها المائل إلى يدها، تتأمل بحنو الحركة البطيئة لأوراق العنب المتمايلة بلطف في نسيم خفيف. تُتابع تلك الأوراق وهي تتراقص كأنها تعانق الهواء برقة، وتندمج مع هذا الجو الذي يعج بالسكينة. من بين هذا الصمت المهيب، تتأمل أم حازم كل التفاصيل الصغيرة التي تشكل جمال هذا المكان، حيث كل غصن وكل ورقة تحمل معها حكاية من الهدوء والتأمل.

أبو حازم وأم حازم يجلسان معًا في هذا المشهد الخيالي، وكأنهما جزء من الطبيعة ذاتها، يعانقان الزمن ببطء، ويعيشون في لحظة تتكرر ولا تتغير. من حولهم، تعانق الجدران الطينية القديمة خيوط الزمن الممتدة، وكأنها تحمل قصصًا من عصور غابرة. كل ركن في البيت الريفي يروي حكاية، وكل نَفَس في المكان يحمل إحساسًا بالراحة والطهارة. أبو حازم وأم حازم يعيشان في عالم

خاص بهم، حيث الحياة ليست فقط ما نعيشه، بل ما نُحبه ونستطيع الحفاظ عليه.

هذا المكان، بسلامه الذي لا يتزعزع، يمنحك شعورًا بالراحة والطمأنينة. كل تفاصيله، من أوراق العنب المتمايلة إلى أشجار الزيتون العتيقة، تشعرك وكأنك جزء من هذا الكنز الذي يحرص الزمن عليه. في ظل هذه الأجواء التي تتخللها خيوط الضوء الباهتة وخيوط الظلال الناعمة، تجد نفسك تغرق في تأمل عميق، حيث الصمت يصبح رفيقًا وحليفًا للحياة.

عندما تنظر إلى أبو حازم وأم حازم، تجد أنك أمام نمط حياة بسيط ولكنه غني بالدروس العميقة. هناك قوة في الهدوء، وفي ذلك الصمت الذي يتحدث بأعمق من أي كلمة. في كل حركة للأشجار وأوراق العنب، تعيدك هذه الصورة إلى جوهر الحياة البسيطة، حيث لا تشتت، ولا ضوضاء، بل فقط الحضور في اللحظة والإحساس بجمالها البسيط.

تجربة مثل هذه تشحذ الروح وتدفعك نحو التأمل في ما هو أكثر أهمية في حياتك. أبو حازم وأم حازم يعلمانك أن السكون ليس فراغًا، بل هو مساحة للتفكر ولإعادة التوازن الداخلي. في وسط هذا الجمال، تجد نفسك ملهمًا، فالحياة ليست فقط في الإنجاز أو التحصيل، بل في كيفية استيعاب اللحظات واستنشاق جمالها.

هكذا يعيش أبو حازم وأم حازم، وكأنهما يجسدان روح الريف البسيط، حيث السكون يفيض بالمغزى، والتأمل ينير الطريق نحو السلام الداخلي.

أبو حازم ينظر إلى الأفق البعيد، حيث تتكاثف الغيوم ببطء، وكأنه ينتظر شيئًا ما دون أن يكون لديه يقين بشأنه. بنبرة مبحوحة، يميل إلى الأمام ويردد بحزن: «أين ابننا حازم؟ لماذا لم يزرنا منذ وقت طويل؟»

أم حازم، دون أن تلتفت، تحتضن الصمت وترد بهدوء عميق: «السماء تبدو غائمة... هل يا ترى ستمطر؟»

ينظر أبو حازم إليها بصمت، يتأمل ملامحها الهادئة وقد خيم عليها الحزن، ثم يجيب بصوت هامس: «الله أعلم.» تجول عينيه على العنب الناضج المتدلي من المعرَّش، وكأنها تبحث عن علامات في ذلك المكان الصامت.

أم حازم تتحرك برأسها نحو العنب، تراقب تلك الكروم المتشابكة، وتقول بنبرة خافتة: «العنب ينضج في الصيف.»

يبتسم أبو حازم بحزن، يهتز جسده بتنهيدة طويلة، «الشتاء، الصيف... لا فرق بينهما هنا.»

أم حازم تهمس بحزن عميق: «كلهم بعيدون عنا... العنب يأتي في الصيف فقط.»

تلك الكلمات تسكن الفضاء المظلم الذي يحيط بهما، وكأنها تعبر عن شوق عميق وضياع مؤلم. أبو حازم وأم حازم يجلسان في صمت تام، في عالم يبدو وكأنه توقّف عند لحظة من الزمن. الأحزان التي تحملوها تئن في قلوبهم، وكل ما يحيط بهما يتحدث بلغة الوحدة والانفصال.

البيوت المتهالكة، والكروم الممتدة، والأشجار العتيقة التي تسدل أوراقها أمام أعينهم، كل شيء يتحدث عن سنوات مرت بهم، سنوات كانت مليئة بالذكريات، لكنها اليوم أصبحت مجرد صور باهتة في الذاكرة. يتقاسمان الذكريات المؤلمة، ويراقبان واقعًا أصبح بعيدًا عن ملامح أحلامهم.

لكن رغم كل ذلك، في صمتهم الرتيب، يبدو أن هناك شيئًا أكثر عمقًا، يعبر عن الأمل في العودة، أو عن انتظار شيء مجهول قد يظهر فجأة. أبو حازم وأم حازم ما زالا في انتظار، وكأنهما يؤمنان أن الأمل قد يعود، وأن اللحظات الغائمة قد تنقشع، لتأتي أيام جديدة.

ذلك الصمت الذي يحيط بهما، والذي قد يبدو كأنه نهاية للحكاية، هو في الواقع بداية لحكاية جديدة. حكاية مليئة بالتجارب والانتظار والأمل، حيث ينضج العنب في كل مرة من جديد، وفي كل فصل يأتي معه ذكرى، قد تكون مأساوية، لكنها في الوقت ذاته مصدرًا للأمل.

أبو حازم وأم حازم يعلمان أن الحياة ليست مجرد انتظار في صمت، بل هي تكرار للأمل، وتعلم أن الفصول قد تتغير، ولكن الأمل يبقى دائمًا في القلب. لذلك، رغم الغيوم الكثيفة التي تعلّق في سمائهم، هناك إيمان بأن المطر سيأتي في وقت ما، وأن الحكاية لم تنتهِ بعد.

لحظة صمت تمر بينهما.

أبو حازم: (بسؤال موجه إلى الفراغ) أين سميرة؟ لم أرها منذ وقت طويل.

أم حازم ترفع بصرها إليه قليلاً، تتابع بعيون خافتة وقد اعتلت وجهها نظرة حزينة، وتقول بصوت هادئ: «الناس ينامون بالليل... إلا أم حازم لا تنام إلا بالنهار.»

ينفجر أبو حازم فجأة بغناء بصوت عالٍ، تحت ظلال المعرَّش الذي ينسج أوراق العنب المتشابكة فوق رؤوسهما، صوتُه يعلو كأنه يهتز مع كل حرف، كأنه يردد أحزانًا قديمة لكنها لم تبرح بعد:

أبو حازم: «تلولحي يا دالية... يا أم غصون العالية... تلولحي عرضـًا وطولاً... تلولحي ما قدر أطول... يا أم ثويب انزم انزم... زميني وأنا بنزم.»

الصوت يعانق الأفق الصامت، والغيوم الكثيفة تزداد ثقلاً فوق رؤوسهما. في تلك اللحظة، يبدو وكأن الزمن توقف عند هذه الأغنية القديمة التي تشكل جزءًا من ذاكرتهما.

لكن هذا الصوت، رغم ما يحمله من ألم وحزن، يحمل أيضًا شيء من الأمل، وكأن أبو حازم يحاول إيجاد ما تبقى من القوة للوقوف وسط هذا الصمت الثقيل. الأغنية التي تعود إلى الماضي ليست مجرد كلمات تنبض بالحزن، بل هي طقوس تحمل معها دفء الذكريات واللحظات التي قد تكون مفقودة الآن، لكنها لم تفقد تمامًا.

أم حازم تستمع بصمت إلى صوت أبو حازم، وكأنها تستدعي ذكريات قد تكون دفنت تحت ركام الأيام. تهمس بصوت خافت كأنها تشاركه تلك اللحظات التي غابت عن حياتهم: «أين سميرة؟»

تساؤل يعلق في الهواء، يجمع بين حزن الأم الذي أضناه الغياب وشوق الأب الذي بقي ملتصقًا بكل ما تبقى من الأحلام الضائعة. في هذا المشهد المليء بالذكريات، يبدوان كأنهما يكتبان فصلاً جديدًا من الحكاية، حيث الماضي والحاضر يتشابكان في خيوط أليمة.

أبو حازم وأم حازم لا يزالان هنا، يجلسان تحت المعرَّش، غناء أبو حازم يهتز في الصمت وكأنه دعوة للعودة، ودموع أم حازم

تروي حكاية ما زالت تنتظر من يقرؤها. هذه الأغنية ليست مجرد كلمات، بل هي جزء من حياتهما، تتردد صداها في كل زقاق وكروم وأشجار، تحمل في طيّاتها دعوة للاستمرار رغم كل الألم.

قد يبدو المأساوي في هذه اللحظة ثقيلًا، لكن من خلال صوت أبو حازم وأغنيته، يأتي الأمل ببطء. إنه أمل يتسلل من خلال الأنقاض، يذكّرهم بأن الحكاية لم تنته بعد، وأن الحياة رغم مرارتها ما زالت تستحق المحاولة.

في تلك اللحظات، يصبح الصوت والنغم وسيلة لإعادة الأمل، وكأنهما يفتحان نافذة جديدة لاستقبال أيام قد تكون أفضل، حيث لا يُنسى الماضي، بل يُكرَّم بصمت المحبة والانتظار. أبو حازم وأم حازم يعلمون أن هناك أشياء أكثر قوة من الحزن، وأغنيتهما هذه ليست إلا دعوة للعيش من جديد، رغم كل ما فات.

أم حازم ترد عليه بصوت أعلى، وكأنها تحاول كسر هذا الصمت الثقيل الذي يحيط بهما، وكأن كلماتها محاولة للبقاء متماسكين في وجه الحزن الذي يخيم:

أم حازم: «هون واربط باب الدار... حتى تطلع بنت المختار... هون وأربط بالساحة... لأم عيون الذباحة... الهيلامان الهيلامان.»

أبو حازم يكمل بنبرة حزينة، وكأنما يشعر بأنه جزء من هذه الأغنية الحزينة التي تُردد كلما توالت الأيام الثقيلة:

أبو حازم: «يا طولو عرق رمان.»

أم حازم تنظر إليه بامتعاض، وكأن نظرتها تحمل في طياتها اللوم والمرارة: «لماذا لا تأكل؟»

أبو حازم يجيب بتهكم، وكأنه يجسد الألم الذي يملأ روحه، وهو يرى كيف انفصلت الحياة عن تلك التي كانت معه ذات يوم:

أبو حازم: «سميرة وحازم.»

تلك الكلمات تصدح في الأفق، وكأنها تعانق ذاكرتهم المليئة بالأحلام المفقودة. أم حازم تعي تماماً أن هذه الكلمات ليست مجرد كلمات، بل هي صدى لحياة ضاعت، لأحلام تلاشت، لأشخاص رحلوا ولم يعودوا.

الصمت بينهما يتسع كأنه بحر عميق، وكل كلمة تُقال هنا تنزف حكايات وأسراراً كانا يحلمان بها يوماً.

أم حازم تنظر إليه، وكأنها تحاول قراءة آلامه دون أن تُعبِّر عن كل ما يدور بداخلها. تهمس بهدوء، وكأنها تحاول استحضار شبح الأمل في ظل الظلام الذي يخيم:

أم حازم: «حازم كان هنا، وسميرة كانت معنا، والآن... هل سنبقى في هذا الحزن إلى الأبد؟»

تلك الكلمات تحوم في الهواء، لكنها لم تجد من يجيب. أبو حازم يبتعد بنظراته نحو الأفق البعيد، وكأنما يتوسل للحياة أن تعود كما كانت، دون جدوى.

لكن في هذا المكان الذي فقد فيه الأمل أحيانـًا، تبقى بعض اللحظات التي تعيد الأمل شيئـًا فشيئـًا. أبو حازم وأم حازم يجلسان في هذه اللحظة، حيث الحزن والغناء والألم يتداخلون في نسيج واحد، وكأنهم يحاولون إيجاد الأمل حتى في أكثر الأماكن المظلمة.

أبو حازم، رغم الحزن الذي يعتصره، لا يزال يتشبث بأغنيته القديمة، وكأنها محاولة لإحياء جزء من الماضي الذي لم يعد يعود. وأم حازم، برغم كل الألم الذي تخفيه، تهمس بأمل خافت، وكأنها تعلن أن الحياة مستمرة مهما كانت قاسية.

في هذا الجو المؤلم، يبقى صوت أبو حازم وصدى أغنيته، حتى لو كان حزينًا، يعيد الأمل لقلوبهم، ويذكرهم بأن الحكاية لم تنته بعد، بل قد تكون بداية لصفحة جديدة، وإن كانت مليئة بالدموع..»

أم حازم تهزأ منه برقة، محاولة التسلية من الحزن الذي يسكنهما: «تلولحي يا دالية... يا أم غصون العالية... ألا تسمع ما أقول؟»

أبو حازم يبتسم بحزن ويغني مجدداً بتلك النغمة الحزينة التي ترافقه، «تلولحي يا دالية.»

أم حازم تصرخ بصوت مرتفع وكأنها تحاول دفع الحزن بعيداً، «تلولحي يا دالية على عقلك وسمعك!»

لحظة صمت ثقيلة تخيم على المكان، وكأنهما يبحران في هذا الصمت الذي يطوقهم بمرارة، حتى يسمعان صوتـًا من بعيد يقطع الأجواء الكئيبة.

يدخل جارهم أبو مازن فجأة، وهو ينظر من حوله بقلق، وكأنما يشعر بشيء غريب لم يستطع تفسيره:

أبو مازن: (بنبرة مريبة) أسمع صوتـًا غريبـًا.

يتوقف أبو حازم وأم حازم عن حركتهما في تلك اللحظة وكأنهما قد تذكرا شيئـًا ما، ولكن لم يدركاه تمامـًا بعد.

أبو مازن يقترب أكثر، ينظر إليهما بتوجس: «من أين يأتي هذا الصوت؟»

أم حازم تنظر إليه بعيون خائفة، وكأنها تخشى أن يكون لهذا الصوت علاقة بما ضاع من حياتهم.

أبو حازم يرد بصوت منخفض وكأنه يحاول تهدئة نفسه: «لا شيء، مجرد ذكرى تطاردنا...»

أبو مازن يتفحصهما، وكأن كل شيء هنا يبعث على الريبة،

ولكن لا شيء يبدو واضحاً في هذا الوقت الذي أصبح كأنه غير واقعي بالنسبة لهما.

أبو مازن: (بلهجة مشككة) لا شيء؟ لا أصدق. هناك شيء غامض يحدث في هذا المكان.

أم حازم تلتفت إليه بنظرة حائرة، وكأنها تدرك أن أبو مازن يشعر بما لا يستطيع هو نفسه فهمه بالكامل.

أبو حازم يرد بهدوء، رغم ما يعتريه من توتر، «لا شيء سوى أرواح الماضي التي لم ترحل بعد.»

أبو مازن يحدق فيهما للحظة وكأنما يحاول قراءة ما بين السطور، ثم يقول بصوت غامض: «أرواح الماضي؟»

لحظة أخرى من الصمت تمر كأنها سنوات، وكأن الزمن قد توقف في هذا المكان الريفي العميق، حيث الألغاز المخفية تتسلل بين الظلال وتتركهم يتساءلون عن معنى كل ما يحدث.أبو حازم يرد بصوت هادئ، «وعليكم السلام.»

أم حازم تقول ببرود، «ورحمة الله وبركاته.»

أبو مازن ينظر إليهما بحذر، وكأنه يحاول اكتشاف شيء غامض وراء تلك الكلمات البسيطة، «اسأل عن الجار قبل الدار.»

أم حازم ترد ببرود أكثر، وكأنها تعبر عن فتور داخلي لا ينكسر بسهولة، «ما عملنا شاي اليوم... أبو حازم أكل حبة طماطم حمراء من دون شاي.»

أبو مازن يبتسم برقة، وكأن هذا البساطة والحياة الريفية تملؤه بالراحة: «لذيذة.»

أبو حازم يؤيده بصوت ضعيف، وكأنه يغرق في الذكريات، «جداً.»

أبو مازن يردد بنفس الحماس، «جداً جداً.»

أم حازم تستمر بنفس النبرة الهادئة، «جداً جداً جداً.»

أبو مازن يرد بلهجة مليئة بالدفء، «أم مازن ذهبت إلى السوق.»

تلك الكلمات البسيطة تثير فيهم ذكريات أيام بسيطة، كانت مليئة بالأشياء التي قد تكون صغيرة، لكنها عميقة في تأثيرها.

أبو مازن ينظر إليهم بابتسامة مريحة، وكأن الحاضر والماضي يمتزجان هنا، وكأن هذه اللحظة وحدها تحوي كل المعاني التي افتقدوها في زحمة الأيام.

أم حازم تنظر إليه، وكأنها تكتشف أن الحياة ليست فقط لحظات تمر بل مشاعر تحيا، وتجربة تتكرم بها الأيام.

أبو حازم يشعر بالأمان في تلك اللحظة، وكأن الماضي والمستقبل يتشابهان في بساطة الحاضر الذي يحتضنهم جميعًا.

هنا، في هذا المكان الريفي العميق، يدركون أن الحياة قد تكون بسيطة، لكنها تفيض بالمعنى والحب الذي يبقى دائمًا.

أم حازم ترد بعصبية واضحة، «لا يساوون طلقة ولادة.»

أبو مازن ينظر إليها بتعجب، «من هم؟»

أم حازم توضح بثقة، «الذين نركض من أجلهم، نعيش لأجلهم، وننتظرهم... ثم لا شيء يتبقى سوى الفراغ.»

أبو مازن يبتسم برقة، وكأن الحكمة التي يمتلكها قد فتحت له نافذة جديدة: «البنات أحسن.»

أبو حازم يشارك بصوت خافت، «كلهم بالهواء سواء، لا فرق بين من نركض لأجلهم.»

أم حازم تهز رأسها بحزم، «لا تفكر كثيرًا، فصوبة الحطب لن تحل مكان الدفء الذي لم يعد يأتي.»

أبو مازن يعلق بتواضع، «الحطب غالٍ هذه الأيام.»

لحظات الصمت تخيم على الجميع، وكأن الزمن يتوقف للحظة ليتأمل كل كلمة قيلت، وكل شعور يُحمل.

لكن في ذلك الصمت يكمن أمل خفي، ربما صغير، لكنه موجود. الأمل في أن الأوقات الصعبة قد تعلمنا أن نقدر ما هو فعلاً مهم. وأن البساطة التي لم نلاحظها في الماضي قد تكون هي الدفء الذي نفتقده الآن.

هنا، في هذا المكان البعيد، يعلمون أن الحياة قد تكون قاسية، لكنها تعلمك دروسًا تظل عميقة ومؤثرة إلى الأبد.

أم حازم تهمس بحزن عميق، «الشتاء بارد، وأيامه طويلة وصامتة، تشدنا نحو العزلة القاسية.»

أبو حازم يضيف بصوت مشبع بالحنين، «والصيف حار بالنهار، وموجع بالليل، يتحول الوقت إلى لهيب يحرق كل ما تبقى من الأمل.»

أبو مازن يبتسم بحزن ساخر، «كلنا نكره الخريف، لأنه يحمل رياح الفقدان، وأيامه مليئة بالمطر الذي لا ينتهي.»

أم حازم تسأل بتردد وألم: «لماذا يكون الحب في الربيع فقط؟ لماذا لا نقدر جماله سوى بعد رحيله؟»

أبو حازم يبتسم بحزن، «لأن الربيع يحمل معه الأمل، والجمال الذي نتوق إليه، لكنه دائمًا يأتي بعد البعد... بعد الخريف والشتاء القاسيين.»

تتساقط كلماته بين الصمت الثقيل، ويظل الجميع ينصت إلى هذا الفقدان الذي لا يشبع، إلى الحنين الذي لا ينتهي.

يستمر الصمت بين الجميع، كأن الزمن يتوقف للحظة، إلى أن ينقطع فجأة بصوت غريب يأتي من الخارج، صوت كأنّه صرخة خفية تُدوي في الأرجاء.

لحظة من الرهبة تملأ المكان، وكأن الزمن قد عاد ليخبرهم بأن الأوقات المظلمة قد لا تكون نهاية الطريق. بل ربما هي بداية حكاية جديدة... بداية قد تحمل معها الأمل الذي ظنوا أنه قد رحل إلى الأبد.

أبو مازن يصرخ بقلق شديد، «ما هذا الصوت؟! من أين يأتي؟»

أم حازم تشير إلى النافذة المفتوحة بيد مرتعشة، «النافذة مفتوحة... ربما الصوت آتٍ منها.»

أبو مازن يتحرك ببطء نحو النافذة، عيناه تتفحصان الأفق البعيد، في محاولة لفهم مصدر هذا اللغز الذي يحيرهم. «ربما تكون مجرد نسمات الرياح التي تعزف على أوراق الأشجار»، يقول بصوت مهدئ وكأنه يحاول تهدئة قلقه.

أبو حازم يتنهد بنبرة حزينة وعميقة، «الحياة بسيطة، لكنها فارغة، تافهة أحياناً... وكأنها مجرد ظل لا روح له، دائرة مفرغة من الأيام التي تتشابه كأنها بلا غاية.»

أبو مازن يرد بصوت منخفض، مغمورًا بالحزن، «جارنا أبو سارة... دائمًا ما يضرب زوجته، ولا ينام كل يوم بسلام.»

أم حازم تهز رأسها بحزن واضح، وتقول بصوت مخنوق، «هو فقط يستمر في العيش، ولكنه يفقد راحته كل يوم، يلهث وراء لحظات هاربة من السلام.»

لحظة صمت ثقيلة تخيم على المكان، كأن الزمن قد توقف للحظات أمام هذا العبث الذي يعيشه الجميع. لكن في أعماقهم جميعًا، وداخل ذلك الحزن الثقيل، يدركون أن الحياة، رغم قسوتها، ورغم فقرها أحيانًا، تبقى تستحق أن تُعاش.

الأمل يكمن في التفاصيل البسيطة، في الأشياء التي قد لا ينتبه لها أحد، كدفء الشمس في شتاء بارد، ونسمة هواء هادئة تعبر بين الأشجار، في لحظة الصمت التي تسبق الغروب.

هو ذلك الضوء الخافت الذي يظهر في ظلام الأيام الطويلة، ليذكرهم بأن هناك جمالًا في التكرار، في الانتظار، وفي النضال من أجل البقاء. في هذا الهدوء الكئيب، هناك قوة كامنة، تعيد لهم الأمل وتساعدهم على رؤية الحياة من زاوية جديدة، حيث يمكنهم التغلب على كل الآلام، وبداية رحلة جديدة في كل يوم جديد.

جلس أبو مازن تحت المعرَّش العتيق، يلوح بعكازه الخشبي وكأنه يحمل سوطًا قديمًا، في محاولة لتقليد مشهد مألوف في

ذاكرتهم، مشهدٌ يعكس سنوات من الحزن والمعاناة. بجانبه، أم حازم تجلس صامتة، تنظر إلى العنب الناضج المتدلي برقة، وكأنها تبحث عن شيء ضاع في زحمة الأيام.

أبو مازن: (يؤشر بيده وكأنه يضرب بسوط) يضربها بالسوط.

أبو حازم، الذي يجلس بجانبهم، يرفع عكازه أيضًا وكأنه يسير في ذات الاتجاه.

أبو حازم: العقال أفضل.

أم حازم ترفع يدها بتوبيخ هادئ، قائلة بصوت خافت، «اسكت أنت! لا تتدخل فيما لا يعنيك.»

أبو مازن يواصل بحزن عميق، وكأن الكلمة عالقة في حلقه: «مسكينة جارتنا أم سارة.»

أم حازم توافق بصوت خافت ومهموس، كأنها تشاركه ذات الألم: «امرأة مسكينة حقًا، لا تملك سوى صمتها وقدرها.»

أبو حازم، الذي يبدو متمسكًا برأيه، يشير للهواء وكأنه يضرب بسوط.

أبو حازم: (يؤشر بيده وكأنه يضرب بالسوط) بالسوط.

أم حازم ترفع حاجبيها باندهاش، وكأنها تسأله بصمت: «كيف؟»

أبو مازن يكرر الإشارة بعصبية، وكأن الكلمة نفسها تعذبه: «بالسوط... بالسوط.»

تسود لحظة من الصمت الثقيل بين الجميع، وكأن الأيام نفسها توقفت في ذلك المشهد، تردد صدى آلامهم القديمة. في ذلك المكان الهادئ، بين ظلال الأشجار وأصداء الذكريات، يتعزز الإحساس بأن الحياة هنا، رغم بساطتها، تحمل معاناة أعمق من أن تفهم بسهولة. لكن ربما في صمتهم ومقاومتهم، يكمن شيء من القوة، من الأمل الذي قد ينبثق من رحم الحزن يومـًا ما.

أم حازم، بتذمر عميق، تسأل بصوت يحمل غصة، «لماذا تصرخ إذن؟ لماذا كل هذا الصوت؟» نظرتها مشوبة بالاستفهام، وكأنها تحاول فهم سر الحزن الذي يملأ المكان.

أبو مازن يحاول تقليد حركة ذلك الشخص الذي يضرب بالسوط، بصوت متقطع يملؤه الحزن واليأس، «بالسوط...»

أبو حازم، الذي لا يزال غارقًا في تفكيره الحزين، يغمغم بتلك العبارة التي باتت مألوفة له، «صوتها عورة.» كأن الكلمات تشق طريقها بصعوبة من أعماقه، تحمل في طياتها كل آلام الذكرى.

أبو حازم يشير إلى الصوت مرة أخرى، وكأنما يحاول دفن الذكرى تحت طبقات الألم، «بالسوط...»

أم حازم تتنهد بحزن عميق وكأنها استسلمت لكل هذا الألم، «أنجبت تسع بنات... وهنَّ كل ما تبقى من حياتها، وأحلامها التي ضاعت تحت ثقل الزمن.»

أبو مازن يعاود الإشارة بعصبية متجددة، وكأنه لا يستطيع الخلاص من هذا الكابوس الذي يطارده، «بالسوط...»

تلك الكلمة تتكرر كصدى لذكريات مؤلمة، تُحفر في الذاكرة كعلامة فارقة من الألم. في هذا المكان الهادئ الذي يفوح برائحة اليأس، تبدو الحياة وكأنها سجينة للأحزان، تتحرك ببطء نحو المجهول. لكن حتى في أعماق هذا الألم، يتصاعد الأمل، أمل خافت يتحدى كل تلك المعاناة. فالذكريات المؤلمة قد تكون جدرانًا تضيق بهم، لكنها أيضًا محطات تدفعهم نحو مستقبل يختبئ في خلف هذه الآهات.

أبو حازم ينطق بحزن عميق، «مسكينة... إنها امرأة مثقلة بالحزن، لا ذنب لها سوى أنها تُحرم من أبسط حقوقها.» كلماته تخرج بلهجة تحمل ألمه العميق، وكأنها تحمل في طياتها كل مشاعر الحزن الذي يسكنه.

أم حازم تتابع بصوت مفعم بالأسى، «ما عندها أولاد... لا شيء لديها سوى هذا المنزل الخالي والذكريات المؤلمة.» كأنها تعيد تأكيد أوجاعها التي لا تنتهي، وتنقل تلك المشاعر إلى أبو حازم وأبو مازن.

أبو حازم يكرر كأنه يستجدي الأمل، «أين ابني حازم؟ هل اشترى سيارة؟» كلماته تعكس اشتياقًا دفينًا يعتصر قلبه، يتمنى لو أن وجود ابنه بالقرب منه يُخفف من هذا الألم الذي يعتصره.

أم حازم تنظر إلى العنب المتدلي أمامها بتركيز، وكأنها تبحث عن سبيل لفهم حياة شائكة مليئة بالانتظار. «قلت لك، العنب ينضج في الصيف... أتفهم ذلك؟!» تُلقي نظرة صارمة على أبو مازن، وكأنها تود أن تؤكد له أن لا شيء يأتي سريعًا، ولا يزهر إلا في أوقاته المحددة.

أبو مازن يوجّه بصره نحو المعرَّش، وكأنه يسعى لاكتشاف شيء يبعث السرور في هذا المشهد المليء بالحزن. «هذه الدالية عنبها أسود أم أبيض؟» يسأل بفضول كأنما يحاول الهروب من الأجواء المظلمة إلى شيء قد يكون مبعثًا للفرح.

أم حازم تجيبه بفتور، وكأنها أدركت عبث السؤال في هذا الزمن، «لا أبيض ولا أحمر... بل أصفر، كباقي الأشياء هنا.» ترد على

بساطة وبحزن عميق، وكأنها تؤكد أن الألوان هنا باهتة ومُطفأة، وأحلامهم كذلك.

أبو مازن يبتسم بخبث، وكأنه يبحث عن لحظة من المرح في هذه اللحظات الصعبة، «أصفر، ليكن!» ثم يضيف بسخرية: «أم حازم، أليس كذلك؟ شاي أخضر لا يحبه أبو حازم.» وكأنه يثير نقطة أخرى من الذكريات البعيدة التي تصر على البقاء في ذاكرة المكان.

لحظة من الصمت تطغى على المكان، وكأن الحزن قد تجمد في كل زاوية. لكن رغم كل هذه الأحزان، تتردد في أذهانهم كلماته: «أين ابني حازم؟» لتظل ذكرى غائبة تأبى مغادرة قلوبهم، في رحلة أبدية بين ماضي مؤلم ومستقبل مجهول.

أبو مازن يسأل بتعجب واضح، «لماذا؟» وكأنه يحاول فهم السبب وراء هذه الكلمات الغريبة التي يسمعها لأول مرة.

أم حازم تجيبه بثقة صادقة، «لأنه يسبب له مغصًا.» كأنها قد وضعت يدها على السبب الوحيد الذي يجعل الحياة أصعب مما يجب، وكأنها تقدم له تفسيرا بسيطًا لكنه مؤلم.

أبو حازم، بنبرة مترددة وملامح تائهة، يقول بصوت منخفض، «لا تصدقها.» كأنه يشعر بالشك تجاه كل ما يُقال، وكأن ألمه يجعل عقله يعجز عن تصديق كل ما هو بعيد عن الواقع الذي يتشبث به.

أبو مازن يعود لجارتهم أم سارة، وكأنه يواصل الحديث عن مأساة أخرى، «مسكينة أم سارة.» وكأنه لا يزال مشدودًا لتلك الصورة المؤلمة التي لا تغادر مخيلته.

أبو حازم ينطق بتأكيد صارم، «والله أبو سارة مسكين.» وكأن الألم يُثبت نفسه في كل زاوية من ذاكرتهم.

أبو مازن يعلق بتغير في نبرته، «توقفت عن الصراخ!» وكأنه يعكس شعورًا بالراحة الغريبة التي تلي الصمت بعد المعاناة.

أم حازم تتابع بنبرة حزينة، وكأن الألم يعصر قلبها، «مسكينة... تسع بنات.» وكأنها تحمل همومًا ثقيلة أثقلت روحها.

أبو حازم يكرر بتشاؤم وحزن عميق، «كلهن بنات!» وكأن ما تبقى من أمله قد أُطفئ تمامًا.

لحظة من الصمت الثقيل تسود المكان، وكأن الكلمات والمآسي قد غلفت هذا المكان بالأسى، لكن رغم كل هذه الآلام، يبقى لديهم أمل خافت، قد يكون محصورًا في بصيص من الأمل أو ذكريات بائسة، لكنه أمل يبقى في قلوبهم، ولو بشكل مؤلم.

أم حازم تؤكد بثبات وقوة، «كلهن بنات.» كلماتها تخرج وكأنها تثبّت الحقيقة التي لم تعد قابلة للتغيير، وكأن الألم الذي يسكن أعماقها لا يسمح بأي بديل أو أمل. تنطق بعباراتها وكأنها تحمل

عبءًا ثقيلاً، يحمل معها مرارة التجربة وألم السنوات التي انقضت دون أمل في فرح جديد.

أبو مازن يعاود الإشارة بعصبية إلى السوط، وكأنه يتشبث بالماضي، وكأن الصوت الذي يرافقه ما زال يصرخ في داخله. «بالسوط.» هو ليس مجرد صوت، بل تعبير حزين عن الألم الذي يستمر في ملاحقتهم، في كل لحظة وفي كل تفصيل صغير من حياتهم. وكأن السوط بات جزءًا من واقعهم، يذكرهم باستمرار بالعذابات التي لا تنتهي، حتى في أبسط ذكرياتهم وأحاديثهم اليومية.

أبو حازم يتمتم بحزن عميق، وكأنه يحاول الهروب من ذلك الواقع الثقيل، لكنه لا يستطيع. «مسكين أبو سارة... ليس لديه أولاد.» كأن الألم الذي يعانيه صار هو الحاضر الوحيد الذي يتشبث به، لا أمل في كسر هذا الحزن، ولا رجاء في ولادة جديدة للفرح. فقدان الأمل يصبح أعمق وأشد مع تكرار تلك المعاناة، وكأن كل صوت أو ذكرى تقوده إلى نقطة مظلمة دون نهاية.

أم حازم تواصل بتكرار العبارة نفسها، وكأن الحزن يحيط بها من كل جانب، وكأن حياتها أصبحت مجرد تكرار للألم والذكرى المؤلمة. «بالسوط.» كأن الألم يعانق كل ما هو حولهم، يهيمن على كل لحظة، وكأنه يختزل كل معاني الحياة في مرارة فقدان

الأمل. يجعلهم العذاب عالقين في دائرة لا نهاية لها من الألم واليأس.

لحظات صمت ثقيلة تتبع، وكأن الكلمات قد أُطلقت لكنها لم تترك سوى ندوبًا عميقة لا تندمل. حزنهم أصبح ثابتًا، وظلامهم يتجذر أكثر. ولكن في أعماقهم، في جوف الألم، يدركون ببطء أن الأمل، رغم خفوت بريقه، يبقى جزءًا من حياتهم. ربما خبا بين السطور، ولكن قد يعود يومًا في صورة صغيرة من الأمل، في لحظة قد تكون بعيدة، لكنها ممكنة. تلك الأمل هو الذي يمنحهم القوة لمواصلة الحياة، رغم كل الصعاب.

أبو مازن ينطق بقلق واضح، «الله يساعد أبو سارة.» كأنه يشعر بحجم الحزن الذي يثقل قلوبهم جميعًا، وكأنه في تلك الكلمات يسعى لإيجاد بصيص من الأمل في بحر من الظلام.

أم حازم تكرر دون أي تردد، «بالسوط.» وكأنها تؤكد على عبودية تلك اللحظة، وتدفع بهم إلى تكرار الألم كأن لا خلاص منه.

أبو حازم يعاود السؤال بهدوء غريب، «ما هو لون السوط؟» وكأن هذا اللون أصبح اللغز الذي لا نهاية له، يسأل وكأنه يبحث عن إجابة قد تعطيه راحة لا يستطيع العثور عليها.

أم حازم تهمس بصوت هادئ ومثير للحيرة، «أنت لا تحب الشاي الأخضر... أليس كذلك؟» وكأنها تلمح إلى أن هناك أشياء صغيرة قد تزعجهم لكنها جزء من الحياة التي لا مفر منها.

أبو مازن يرد بقلق شديد، «زوجتي خائفة!» وكأن خوفها يعكس أوجاع الجميع، وكأنهم جميعًا يعيشون في انتظار شيء مجهول، ربما سوط من نوع آخر لم يروا مثله من قبل.

مازن يدخل فجأة وهو ينادي بقلق، «أمي... زوجي.» وكأنه يحمل همومًا لم يفهمها بعد، وكأن الصغار يشعرون بالخوف قبل أن يكبروا.

أبو مازن يسأل بحيرة، «من ماذا؟» وكأن الحيرة قد غمرت عقله، يتساءل عما يخيف زوجته التي لا تقدر على مواجهة خوفها.

أم حازم تجيب ببرود قاتل، «بالسوط.» وكأنها تؤكد على أن لا شيء سيتغير، وأن هذا السوط هو السكون الذي يحيط بهم.

أبو حازم يتمتم بحزن، «آه، بالسوط.» وكأن الحزن قد استقر في قلبه، وصار جزءًا من ملامحهم جميعًا.

أبو مازن يستنجد بالله، «الله يساعد أبو سارة.» وكأنه يبحث عن يد تساعد في تجاوز هذا الألم الذي يخيم عليهم.

أم حازم تنطق ببرود، «بالسوط.» وكأنها تعلن أن لا خلاص إلا في مواجهة هذا الواقع الذي لا يتغير.

أبو حازم يتمتم من جديد، «ما هو لون السوط؟» وكأنه ما زال يبحث عن شيء غير ملموس، عن تفسير يخفف من شدة ما يشعر به.

أم حازم تسأله ببرود قاتم، «أنت لا تحب الشاي الأخضر... أليس كذلك؟» وكأنها تشير إلى تفاصيل صغيرة، لكنها تعكس تفضيلات الحياة التي لم تعد تحمل أي بهجة.

أبو مازن يعود بقلق، «زوجتي خائفة!» وكأنه لا يستطيع الهروب من ذلك الشعور الغامر بالخوف الذي يسيطر على الجميع.

مازن يعود بصوت خافت، «أمي.» وكأن الصغار يشعرون بالخوف دون أن يكون لديهم الجرأة لطرح الأسئلة.

أبو حازم يقول ببرود، «بالسوط.» وكأن هذا هو الحل الذي لا مفر منه، وكأن الحياة قد أصبحت معاناة مستمرة لا نهاية لها.

أم حازم تسأله، «هل أبوك عنده سوط؟» وكأنها تشير إلى غياب الأمان، وعدم القدرة على إيجاد أي استقرار.

لحظات من الصمت الثقيل تسود المكان، وكأن الكلمات قد وصلت إلى نهايتها، ولكن الحزن يبقى في كل زاوية، والآمال تذبل

بين السطور. ومع ذلك، في أعماقهم، يدركون أنه حتى في أحلك الظلام، يبقى الأمل معلقًا بشعرة رقيقة قد تعيد الأمل من جديد.

مازن يجيب بصوت مرتجف، «يلبس حزام جلد أسود أصلي... اشتراه من باكستان.» وكأن هذه العبارة البسيطة تحمل معها الحزن الذي يعتصر قلوبهم، وألم الواقع الذي يلاحقهم أينما ذهبوا.

أم حازم تنهي بعبارة حزينة ومؤلمة، «بالسوط.» وكأنها تلخص كل معاناتهم في جملة واحدة، وكأنها تعبر عن ألم دفين يرفض المغادرة.

جلس أبو حازم أمام المعرَّش، وقد امتلأ وجهه بالقلق والحيرة، كأن الزمن قد توقف عند هذه اللحظة، لا يملك إلا النظر إلى الأفق البعيد. بالقرب منه، مازن يقف بصمت، عينيه تحملان نظرة خائفة مليئة بالقلق والارتباك، وكأنه طفل صغير يشعر بالخوف من كل شيء حوله.

أبو حازم: «أين أمك؟»

مازن ينظر إلى الأرض بتردد، كأن الكلمات تلتصق بشفتيه، ثم يجيب بصوت منخفض يكاد لا يسمع، «تخاف من السوط.» وكأن هذه الإجابة تحمل في طياتها الألم والمعاناة التي يعيشها الجميع، والتي أضحت جزءًا من تفاصيل حياتهم اليومية.

أبو مازن، الذي سمع هذا الحديث من بعيد، يتدخل بدهشة وانزعاج، «كم سوطًا تضرب يوميًا؟» وكأن الكلمات التي تخرج منه ليست مجرد أسئلة، بل تعبير عن الألم الذي يتغلغل في قلوبهم، يتساءل عن مدى عمق المعاناة التي يعيشونها.

مازن يرد ببراءة الطفولة التي اختفت خلف الخوف، «عندما لا تأكل الخبز.» وكأن هذه العبارة البسيطة تختصر واقعًا من الحرمان والمعاناة، وكأن الجوع والألم هما أشد أنواع العقاب التي يعرفها هذا الطفل البريء.

لحظة صمت ثقيلة تسود المكان، وكأن الزمن قد توقف أمام هذا المشهد المؤلم. ولكن في أعماقهم، لا يزال هناك شعور خفي بالتمسك بالحياة، بالرغم من قسوة الظروف، وكأن الأمل لا يزال يتنفس بين السطور. قد تكون الحياة قاسية ومؤلمة، لكنها أيضًا تذكرهم بأنهم قادرون على الصمود، وأن الألم رغم قوته يبقى جزءًا من النضال من أجل الأمل.

أم حازم تجلس على المقعد الخشبي بجانبهم، تنظر إليهم بنظرة خافتة، وكأنها تحمل في عينيها مشاعر أعمق مما تعبر عنه الكلمات. تراقب الحوار بصمت وحذر، وكأنها تعرف أن هناك ألمًا يسكن أعماقهم لا يمكن أن يُفصح عنه بسهولة. ثم تضيف بهدوء لكن بنبرة حازمة: «هل تأكل الأرز؟»

مازن يهز رأسه برفق، وكأنها كلمات تنبع من حزن دفين، «كل شهر مرة فقط.» وكأن الأرز الذي يُفترض أن يكون أساس قوتهم اليومية أصبح ترفًا نادرًا، يعكس قلة ما يملكون.

أبو حازم، الذي تعلّم الحزن والمأساة، يشير إلى مازن بنبرة حزينة وصامتة، وكأنه يتحدث عن مصير محتوم، «بالسوط.» وكأن هذه الكلمة أصبحت جزءًا من كل لحظة تمر بهم، ترمز إلى الألم الذي لا مفر منه.

مازن يهمس بانزعاج شديد، وكأنه ينقل الألم الذي يخيم على صدره، «أمي خائفة... تصرخ بأعلى صوتها.» وكأن خوف أمه بات الحاضر الوحيد في حياتهم، وكأن صرخاتها أصبحت عنوانًا للحزن والقلق المستمر.

أبو حازم ينظر إلى مازن بتأمل عميق، وكأنه يدرك أنه لا يستطيع تغيير ما حدث، فيقترح بصوت منخفض وحزين، «اشتري لها سوطًا.» وكأن الأمر قد وصل إلى مرحلة لم يعد فيها أحد قادرًا على تخفيف هذا الألم أو تغييره، وكأن السوط أصبح رمزًا لكل معاناتهم.

مازن يرد بإصرار طفولي، وكأنه يحاول مقاومة كل الألم الذي يحيط به، «والدي عنده سوط.» وكأن الكلمة التي أراد الجميع أن

يسكتوا عنها ما زالت تلاحقهم، وكأنها أصبحت جزءًا لا ينفصل من واقعهم المؤلم.

أبو مازن، الذي أصبح يئسًا من هذه الحياة، يصرخ بعصبية واندفاع، «اسكت يا ولد!» وكأن هذه الصرخة ليست مجرد رغبة في الصمت، بل صرخة ألم وغضب دفينين، وكأنه يريد أن يوقف هذا الدوار المؤلم.

أم حازم تردد بصوت حازم وقوي، وكأنها تنبههم من السقوط في بئر الحزن، «اسكت يا ولد.» وكأنها تحاول تخفيف الأثر، وكأنها تدرك أن الصمت قد يكون الحل الوحيد في بعض الأحيان.

لحظة صمت تخيم على المكان، كأن الزمن توقف للحظة ليحتضن الألم الذي يسكن قلوبهم. لكن في أعماقهم، لا يزال هناك شعور بالتمسك بالحياة، وكأن الأمل لا يزال يخترق الظلام، وأن هذه المعاناة ستفتح أبواب الأمل في المستقبل. ربما تكون الحياة قاسية، لكنها تعلمهم أن قوة التحمل تعني أنهم قادرون على تجاوز أي محنة.

ثم يقوم أبو مازن ومازن من مكانهما، ويتجهان بخطوات هادئة نحو منزلهما، تاركين أم حازم وأبو حازم وحدهما تحت المعرَّش الذي غُمر بالهدوء. لحظة من الصمت تخيم عليهم، وكأنهم

يجلسون في عالم خاص بهم، في مواجهة ذكرياتهم وأحزانهم التي تلاحقهم.

أم حازم تتابع بعيون متعبة وهامسة بصوت خافت، «مازن وأبو مازن.» وكأنها تعيد صياغة الأسماء بحزن عميق، وكأن كل حرف من هذه الكلمات يحمل في داخله حملًا ثقيلاً من المشاعر التي تُطاردهم.

أبو حازم ينظر إليها بحيرة وخفوت، وكأنه يحاول فهم ما تقصده، ثم يرد بصوت مبحوح، «جارنا.» وكأن الكلمة باتت جزءًا من ذاكرته، تذكرهم بكل ما مرّوا به، بكل الألم الذي عايشوه، وكأنهم لا يستطيعون الهروب من الماضي.

أم حازم تواصل بصوت ثابت ولكنه مليء بالحزن، «قلت لك، مازن وأبو مازن.» وكأنها تؤكد أن هذا الحزن والتكرار لن يزول، وأن كل ما حدث هو واقعهم الذي سيستمر في ملاحقتهم.

أبو حازم يحاول الوقوف، ولكنه يتعثر بنظره المنخفض، وكأن الكلمة التي عجز عن نطقها بوضوح أصبحت ثقيلة عليه، وكأنه حمل أكبر من قدرته. «جارنا.» يكررها بصوت خافت، وكأنها مجرد همس في ليل حزين، وكأنها دعوة لصمت يملأ الفضاء بينهما.

لحظة صمت أعمق من أي وقت مضى، وكأنهم يشعرون بثقل لا يُطاق من الذكريات والألم. ولكن في أعماقهم، هناك أمل صغير، خافت لكنه موجود، يدفعهم لاستمرار الحياة رغم كل المآسي. ربما لن ينسوا الألم، ولكن ربما يكون هذا التكرار نقطة انطلاق نحو إدراك قوتهم وقدرتهم على التحمل.

أم حازم تنهض من مقعدها بحزم، وهي تنظر نحو الأفق وكأنها تستجمع قوة قديمة، «كلهم جيراننا.» وكأنها تُحاول أن تجعل الألم جزءًا من واقعهم الذي لا مفر منه.

أبو حازم يعاني في وقوفه مرة أخرى، كأن ثقله الجسدي يعكس ثقل الذكريات التي لا تفارقهم، «مثل العنب.» يرددها وكأنه يتلمس قسوة الزمن الذي لا يرحم.

أم حازم ترد بصوت خافت، وكأنها تتحدث إلى داخلها، «ياريت.» بصوت مشوب بالحزن العميق، وكأنها تتمنى لو أن الأمر يمكن أن يكون مختلفًا، لو أن العنب كان ناضجًا ومليئًا بالحلاوة بدلًا من المرارة.

أبو حازم يبتسم بنوع من اليأس المُرّ، «أبيض وأسود.» وكأن الحياة بالنسبة له تتلون بلونين فقط: الأبيض الذي يعكس الأمل، والأسود الذي يعكس الألم. وكأن هذه الألوان قد أصبحت جزءًا من حياتهم إلى الأبد.

أم حازم تتابع بهدوء، وكأنها تغمض عينيها لتستعيد الذكريات، «العنب ينضج في الصيف.» وكأنها تؤمن بأن الأمل لا يأتي إلا بعد صبر طويل، وأنهم ما زالوا في فصل الشتاء، ينتظرون بفارغ الصبر مجيء الصيف.

أبو حازم يكرر عبارته بهدوء، «كلهم مثل العنب.» وكأن هذا التكرار قد أصبح جزءًا من حياتهم، يدور كالمفتاح الذي يُديرون به واقعهم المتكرر الذي لا يرحم.

لحظة صمت تخيم على المكان، وكأن الزمن قد توقف عند هذه الكلمات، ولكن في أعماقهم، يدركون أن الصبر قد ينضج يومًا ما، وأن الأمل الخافت الذي ما زال يسكن قلوبهم سيجد طريقه إلى النور، رغم كل الظلال التي تغمر حياتهم الآن..

سمع أبو حازم صوتًا يناديه من الخارج، فالتفت ببطء، ينظر نحو الباب الذي يخفي وراءه ملامح الحكايات القديمة.

أم حازم: ادخل.

دخل أبو نايف، بصعوبة، يرتدي ملابس قديمة ووسخة، كأن سنواته الطوال تركت عليه آثارها التي لا تُمحى. خطاه ثقيلة، وكأن الأرض كلها قد أرهقته. كان يتقدم وكأنه يسحب ظلًا ثقيلًا خلفه، كأن الحياة قد سلبت منه كل أمل وخفة.

أبو حازم: أبو نايف.

أم حازم: آه، أبو نايف.

نظر أبو نايف نحوهم بتعب أعماقه، عينيه مليئة بالهموم التي لا تنتهي. وجهه كئيب ومجعد، وكأن الحزن قد نحت فيه عميقًا. وقف برهة، يلتقط أنفاسه بصعوبة، وكأنه يحاول إخراج كلمة من بين شفتيه المتشققتين، كأن كل شيء يثقل على لسانه.

أبو حازم: ما بك؟

أبو نايف يرفع رأسه ببطء، نظراته شاحبة وكأنها تختزل سنوات من المعاناة، «الحياة... مشقة، يا أبو حازم، مشقة لا تنتهي.»

أم حازم: لما هذا التعب، يا أبو نايف؟ أين كنت؟

أبو نايف يرمقهم بنظرة خاوية، «في دروب الحياة الضيقة، حيث المصاعب تعاند الخطوات... ناضلت، يا أم حازم، ناضلت حتى استنفدت العمر.

أبو حازم ينظر إليه بدهشة، وهو يحاول استيعاب الكلمة الثقيلة التي سمعها، «كم من سنة مضت يا أبو نايف؟»

أبو نايف يبتسم ابتسامة شاحبة، «سنوات طويلة، مثل ظل لا ينتهي، تعبت... يا أبو حازم، تعبت.

أم حازم تهز رأسها بحزن عميق، وكأنها تشعر بكل قطرة ألم حطت على أبو نايف، «الحياة تجلدنا دون رحمة، لكنها تتركنا في النهاية وحدنا.»

أبو حازم يتنهد بحسرة، «الليل طويل، وأيامنا أقصر.»

لحظة من الصمت الثقيلة تخيم عليهم، وكأن كل كلماتهم أصبحت عاجزة عن احتواء آلام الحياة. لكن في عمق هذا الصمت، يعرفون أن الأمل يبقى، وإن كان بعيدًا، وإن كان مخبأ تحت ثقل الأيام.

أبو حازم ينظر إليه بقلق، وكأن الكلمات تتسرب من بين شفتيه بصعوبة، «جاء العنب.»

أبو نايف، الذي كان يلهث كأن أنفاسه تأبى التعاون، يقول بصوت ضعيف ومرهق، «هلا أبا حازم.»

أم حازم تضيف بنبرة حزينة وملامح وجهها تعكس مزيجًا من الحزن واليأس، «عنب أسود.»

أبو حازم يعاود الحديث، بنبرةٍ أكثر حسمًا ولكنها محملة بالقلق، «عنب.»

لحظة صمت ثقيلة تخيم على المكان. الجميع ينظرون إلى

العنب المتدلي من المعرَّش القديم، وكأنه يشكل لغزًا غامضًا لا يمكنهم حلّه.

أبو نايف ينظر إلى العنب بحزن، كأن سنوات من التعب قد تركت أثرها على عينيه التي تحاول استرجاع ذكريات الماضي.

أم حازم تتابع، بصوت خافت يشوبه الأسى، «كان العنب في فصل الصيف، يملأ الدالية.»

أبو حازم يهز رأسه بتأمل، وكأنه يحاول استرجاع صورة العنب المثمرة قبل أن تتبدد. «عنب، نعم... أسود.»

لحظة من الصمت، وكأن كل واحد فيهم يحاول تذوق طعم تلك الأيام التي مضت، حيث العنب كان يرمز لأمل غامض قد تبدد مع الوقت.

أبو نايف يغمغم بصوت منخفض، «كان هناك وقت للعنب... وقت للحصاد... لكنه ذهب.»

أم حازم تبتسم ابتسامة خافتة، وكأنها تسعى لاستحضار جمال المفقود، «نعم، ذهب... كما ذهب كل شيء.»

أبو حازم ينظر إلى العنب بعينيه الغائرتين، كأنه يحاول استدعاء لحظة من الحياة التي تحولت إلى ذكرى باهتة. «عنب... ذكرى فقط.»

وفي هذا المكان الهادئ، يظل العنب يرمز إلى شيء أعمق من مجرد ثمرة، إلى حياة فقدت ولم تعد، لكنها تبقى محفورة في الذاكرة، تسترجعهم إلى زمن كان أكثر وفاءً.

أبو نايف يتكلم بصعوبة، كأن الكلمات ثقيلة على لسانه، «لا.»

أبو حازم يكرر السؤال بنبرة حازمة، تتخللها موجة من القلق، «أتريد عنب أسود أم أبيض؟»

أبو نايف يهز رأسه ببطء، وكأن ثقل العالم كله يثقل كاهله، «تركوني؟»

أم حازم تجيبه بصوت خافت، وكأنها تتحدث من مكان بعيد، «لا يوجد عندنا عنب... العنب ينضج في الصيف.»

لحظة من الصمت تخيم على الجميع، وكأن الكلمات لم تعد كافية للتعبير عن ألم صامت يسكن المكان.

أبو نايف يتحدث بمرارة تعكس سنوات من الخيبة، «أمريكا.»

أبو حازم يسأله بلغة صارمة، وكأن السؤال يحمل حملاً ثقيلاً، «أين هم الآن؟»

أبو نايف يرد بصوت ثقيل، كأنه يحمل عبئًا أكبر مما يستطيع تحمله، «كندا.»

أم حازم تنظر إليهما بتعب، كأنها تحمل هما لم يفارقها أبدًا، «تركوا كل شيء هنا، وحملوا أحلامهم البعيدة إلى مكان آخر.»

أبو حازم يغمغم بصوت مفعم بالحزن، وكأنه يواجه حقيقة قاسية، «كندا... أرض بعيدة.»

أبو نايف يحدق في الأفق وكأن الصور التي تتبادر إلى ذهنه ترسم له أفقًا بعيدًا يخلو من العنب، من الأرض، من الحلم.

أم حازم تتابع بنبرة خافتة حزينة، «ولم يبقَ سوى ذكرى الصيف... وذاك العنب الذي لم ينضج قط.»

لحظة صمت ثقيلة تتخللها نظرات تتبادل الألم والذكرى، وكأن المكان أصبح ثقيلاً بالغياب.

أبو نايف يهتف بصوت مخنوق، «أين ذهبت الأحلام؟ أين ذهب العنب؟»

أم حازم تهمس في صمت، وكأنها تتحدث لنفسها أكثر من الآخرين، «العنب لم يعد هنا... ذهب إلى مكان آخر، وأخذ معه كل شيء.»

وأبو حازم يجلس صامتًا، ينظر إلى الأفق البعيد وكأن كل ما تبقى هو هذا السؤال الذي لن يجد له إجابة. «أين ذهبت الأحلام؟»

أم حازم تعود بقولها بنبرة حزينة، وكأنها تحاول أن تعيد الكلمات التي لم تفارقها، «تركوك وذهبوا، أليس كذلك؟»

أبو نايف يكرر هذه العبارة بحزن عميق، وكأنه يروي مشهدًا قاسيًا من الماضي، «إلى أمريكا... إلى كندا...»

أم حازم تسأله بلهجة تحمل الألم، «وأم نايف؟»

أبو نايف يرد بهدوء، كأن كلماته تنطلق من عمق الحزن الذي يعتصره، «قلت لك، تركوني.»

أبو حازم، الذي يستمع بصمت، ينطق بحزن واضح، «تركوك.»

أبو نايف يواصل حديثه بصوت متهالك، وكأن كل حرف يحمل ثقله، «لا أريد طعامًا.»

أم حازم تجيبه بنبرة حنونة لكنها حزينة، «لم نتناول الطعام.»

لحظة صمت ثقيلة تخيم على الجميع، وكأن الألم الذي يعترش الوجوه أصبح حاضرًا بشكل أكبر من أي وقت مضى.

أبو حازم ينظر إلى أبو نايف، وكأنه يتأمل في واقعه الذي يعجز عن تغييره، «تركوك هناك، بلا رفيق، بلا سند.»

أبو نايف يردد بهدوء موجع، «تركوني وحدي.»

أم حازم تهمس بصوت خافت، وكأنها تتحدث عن جراح غائرة، «وحيدًا في هذا العالم.»

أبو حازم يتنهد بعمق، وكأنه يستعيد لحظة فقدان الأمل، «مثل العنب الذي تركوه ليحمل وحده طعمه المالح.»

أبو نايف يهمس بتعب، وكأن الحياة أصبحت عبئًا لا يطاق، «لا أريد طعامًا، لا أريد شيئًا.»

أم حازم تغمغم بصوت حزين، وكأنها تعبر عن كل معاناة كانت مختبئة في قلبها، «ولم يبق لنا سوى الذكريات والألم.»

لحظات طويلة تمر بصمت قاتل، وكأن كل الكلمات أصبحت فارغة أمام واقعهم الأليم.

أبو نايف يقول بصوت يحمل ثقلاً مؤلمًا، «أخذوا مني كل شيء، حتى الحلم الذي كنت أعيشه لم يعد لي.»

أم حازم تهز رأسها بحزن عميق، وكأنها تعيد الكلمات التي باتت محفورة في ذاكرتها، «وتركوك.»

أبو نايف يستمر بصوته الخافت المتهالك، وكأنه يستعرض كل ما تبقى من ذكرياته التي تتبخر مع كل كلمة، «أخذوا مني كل الأراضي التي أملكها، حتى تلك الذكريات التي كانت تزرع أملًا في قلبي.»

أبو حازم يكرر بنبرة حازمة، وكأنه يردد الحقيقة التي لا مفر منها، «وتركوك.»

أبو نايف يكمل بصوت مملوء بالحزن والألم، «السيارة التي كنت أتنقل بها، والتي لم أعد أملك حتى وقودًا لوضعها في محركها.»

أم حازم تردد بنبرة حزينة، وكأنها تحمل هذا الألم المشترك بينهما، «وتركوك.»

لحظات طويلة من الصمت تخيم على المكان، وكأن الكلمات باتت غير كافية لوصف الألم الذي يعيشه كل من أبو نايف وأم حازم.

أبو حازم ينظر إليه بتأمل حزين، وكأنه يدرك تمامًا حجم المأساة، «مثل العنب... أخذوا كل شيء، وتركوا العنب بلا طعم.»

أبو نايف يهز رأسه بحزن، وكأن كل شيء أصبح مجرد ذكرى باهتة، «لا شيء يتبقى لي سوى ذكريات فارغة.»

أم حازم تشيح بنظرها بعيدًا، وكأن الألم يخيم على كل زاوية من حياتهم، «ومع كل ذلك، لم يبق سوى الفراغ.»

لحظات من التأمل تتخللها نظرات يائسة، وكأن الأمل أصبح جزءًا من الماضي.

أبو نايف (يمسح دمعة تسللت بخفة على وجنته، صوته مختنق بالوجع):

«الأموال التي أملكها... مجرد أرقام في حساب بنكي، أرقام باردة لا تملأ فراغ الروح ولا تطفئ لهيب الشوق. كل ما أريده هو شعور بسيط... أن أسمع صوت ضحكاتهم يداعب أذني، أن أرى أعينهم تلمع بالفرح من حولي. أين هذا الدفء؟ أين ذاك الشعور؟»

أبو حازم (يضع يده على كتف صديقه بحزن يتغلغل في كلماته):

«أعرف، يا أخي، أعرف جيدًا هذا الفراغ. وكأنهم أخذوا قطعة من قلبك، من روحك، وتركوك تائهًا هنا. كندا! ما أبعدها عنك وما أقربها إلى أحلامهم.»

أبو نايف (ينظر إلى الأرض بعينين غارقتين في الحزن، صوته بالكاد يسمع):

«لا أستطيع النوم يا حازم. الليل طويل، وأنا عالق بين ذكريات الماضي وكوابيس الوحدة. أرى وجوههم في كل زاوية، أسمع خطواتهم في كل ركن من البيت. أحيانًا... أجرؤ على الحلم بأنهم يعودون، لكنني أستيقظ على هذا الفراغ القاسي. وكأن الأحلام تسخر مني.»

أم حازم (بصوتها الدافئ الذي يحاول أن يحتوي حزنه):

«يا حبيبي، حتى النوم صار خصمك. ولكن لا تنسَ، الأيام كفيلة بتخفيف الألم. كل جرح، مهما كان عميقًا، يلتئم مع الزمن.»

أبو نايف (يغمض عينيه بشدة وكأنه يحاول إيقاف دموع جديدة، صوته مكسور):

«ليس الطعام ولا الشراب هو ما ينقصني. يمكنني أن أعيش بلا ذلك. ما ينقصني حقًا... هو الشعور بأنني لست وحيدًا في هذا العالم. أنني لست مجرد ذكرى منسية.»

أبو حازم (يقبض يده بغيظ، صوته يرتفع بحماس مخلوط بالغضب):

«أخذوهم إلى كندا، إلى حياة جديدة براقة، وتركوك هنا في غياهب الوحدة. أي عدل هذا؟! أي قلب يحتمل هذا الألم؟»

أم حازم (بنبرة جمعت بين الحزن والغضب، لكنها تحمل في طياتها شعاع أمل):

«تركوك وكأنك لا شيء، يا ولدي. لكن لا تيأس. نحن هنا معك، يا أبو نايف. سندعمك، وسنقف معًا في وجه هذه المحنة. الحياة لا تتوقف، والأمل هو سلاحنا.»

أبو نايف (رجل كان يُضرب به المثل في قوته، لكنه الآن مُثقل بحمل الفراق، ينظر إلى السماء كأنه يبحث عن إجابة):

«وتركوك... وكأنني عبء ثقيل على أكتافهم، وكأن وجودي لم يكن يومًا سوى ظلال عابرة في حياتهم. هل أصبح الحب اليوم مجرد كلمة تُقال بلا معنى؟»

أم حازم (امرأة عرفت بالصبر والحكمة، كلماتها تُشع دفئًا رغم الألم):

«تركوك، نعم. لكن لا تنسَ، يا أبا نايف، أن الله لم يتركك. نحن هنا، وسنبني معًا حياة جديدة. من بين الركام، يمكننا دائمًا أن نخلق أملًا جديدًا.»

أبو نايف (كان الإيمان ملاذه في المحن، يلجأ إلى الله بعينين تلمعان بالدموع):

«أم نايف... هل أخطأت؟ هل هذا اختبار لصبري أم عقاب على ذنب لا أذكره؟ أشعر وكأنني أضعت الطريق.»

أبو حازم (رجل عملي يرى الحلول حتى في أصعب اللحظات، يضع يده بحزم على كتف صديقه):

«أبو نايف، الماضي قد مضى. لا جدوى من الغرق في الندم.

الحياة أمامنا، والمستقبل ينتظر منا أن نصنعه. علينا أن نترك ما ذهب ونبني ما بقي.»

أبو نايف (يُخفض رأسه، صوته مشحون بشجن عميق، وكأن كلماته تُنزف من قلبه):

«أم نايف... فقدتها في لحظة، لحظة واحدة قلبت حياتي رأسًا على عقب. وكأن جزءًا مني انكسر وذهب معها. لم أعد أنا بعد تلك اللحظة.»

أم حازم (تحاول أن تكون السند وسط العاصفة، تتحدث وكأنها تقاوم الدموع بصعوبة):

«ربما، يا زوجي، ربما تعود. لعل الله يكتب لنا لقاءً يجمعنا بها. الأمل، يا زوجي، هو ما يبقينا واقفين.»

أبو نايف (يُغلق عينيه بشدة، كأنه يُصارع أفكاره التي تؤلمه):

«لا، يا أم حازم. لن تعود. كنت غافلًا، أضعت الكثير من الوقت. لم أُقدر ما كان بين يديّ حتى فقدته. والآن، لم يبقَ سوى الفراغ.»

غرفة مظلمة، تتسلل أشعة القمر عبر نافذة صغيرة لتخلق ظلالًا شاحبة على الجدران. الصوت الوحيد الذي يُسمع هو أنين الرياح في الخارج. أبو نايف يجلس وحيدًا على كرسي خشبي قديم،

ظهره مُحني كأنه يحمل أعباء العالم بأسره. عيناه حمراوان من البكاء، وكتفاه مترهلتان من الحزن الذي أرهقه.

على جانبيه، تجلس أم حازم وأبو حازم، وجهاهما يشعان حزنـًا وتعاطفـًا. أم حازم تمسك بيده برفق وكأنها تُسكّن عاصفة تجتاح روحه، بينما أبو حازم يضع يده على كتفه بثبات يُشبه جذع شجرة قوية، يحاول منحه الأمان الذي افتقده.

(أم حازم) (تنظر إليه بعينين تفيض بالحنان، صوتها هادئ لكن يحمل ثقل الكلمات):

«إنها الآن في مكان آخر... مكان تعرف فيه الحقيقة. تعرف كم أحببتها، وكم كنت تخشى عليها من كل شيء. تعرف الآن، أبو نايف.»

(أبو حازم) (يهز رأسه ببطء، كلماته تتسرب من بين شفتيه بحزن عميق):

«ربما، نعم. ربما تكون قد وجدت السلام الذي كانت تبحث عنه. ذاك السلام الذي نفتقده جميعًا.»

(أبو نايف) (يضع رأسه بين يديه وكأن العالم قد انكمش وأصبح سجنـًا لأحزانه، يبكي بحرقة تُقطّع القلوب):

«تركوني... تركوني وحيدًا في هذا العالم الكبير. لا أجد أحدًا. أشعر وكأنني طفل صغير، ضائع في زحام لا ينتهي.»

(أم حازم) (تمسح دمعة من على خده بلطف كأنها تزيح شيئًا من ألمه، تتحدث وكأنها تنسج خيوط أمل رفيعة في قلبه):

«لا أحد يترك أحدًا للأبد، يا أبا نايف. لعل يومًا ما، تلحق بهم في مكان آخر، في عالم أفضل. ولكن حتى يحين ذلك اليوم، نحن هنا بجانبك. لن نتركك، ولن تكون وحيدًا أبدًا.»

(لحظة صمت تخيم على الغرفة، تتخللها أصوات الطبيعة من الخارج. أبو نايف ينظر إلى النافذة الصغيرة حيث يتسلل ضوء القمر. يبدو وكأنه يلتقط أنفاسه أخيرًا. يرفع رأسه ببطء، وصوته خافت لكنه يحمل بصيص أمل):

«شكراً... شكراً لأنكم هنا. ربما... ربما أجد نفسي من جديد معكم.»

كان الطبق الأبيض يلمع في الضوء الخافت، يبعث برائحة طعام دافئ، لكن أبو نايف لم يبدُ عليه أي اهتمام. حدق في الفراغ بعيون فارغة، وكأن الطعام مجرد شيء بلا قيمة. همس بصوت خافت: «لا أريد طعامًا. لا طعم للحياة بدونها.» أم حازم، التي كانت تجلس بجواره، أمسكت بيده بلطف. صوتها كان حزينًا كأنها

تغني مرثية: «حتى الطعام تركك. ولكن عليك أن تأكل من أجلي، ومن أجل صحتك.» أبو حازم، الذي كان يحاول كبح جماح حزنه، أمسك بمنديل ومسح دمعة سقطت على الأرض. نظر إلى أبو نايف وقال بصوت حازم: «امسح دموعك... لا تترك الدموع تنزل إلى الأرض. إنها كلماتك التي تسقط على الأرض، وكأنها تحرقها.» أبو نايف، الذي كان يئن من الألم، مسح دموعه بسكون. «لا أريد طعامًا... صدقني. لا أريد أي شيء.» أبو حازم، الذي شعر باليأس، أضاف: «هناك دمعة سقطت على الأرض منك. كل دمعة تسقط هي قطعة من روحك تذهب سدى.

أبو نايف دفع الطبق بعيدًا عنه بحركة بطيئة، وكأنها حركة آلية. عيناه كانتا ثابتتين على نقطة ما في الأفق. همس بصوت خافت: «لا أريد طعامًا. لا طعم للحياة بدونها.» أم حازم، التي كانت قلقة عليه، وضعت يدها على كتفه. «حتى الطعام تركك. ولكن عليك أن تأكل من أجلي، ومن أجل صحتك.» أبو حازم، الذي كان يحاول تهدئته، أمسك بمنديل ومسح دمعة سقطت على الأرض. نظر إلى أبو نايف وقال بصوت حازم: «امسح دموعك... لا تترك الدموع تنزل إلى الأرض.» أبو نايف هز رأسه ومسح دموعه بعنف، وكأنه يريد أن يمحو كل ذكرى مؤلمة. «لا أريد طعامًا... صدقني. لا أريد أي شيء.» أبو حازم، الذي شعر باليأس، أضاف:

«هناك دمعة سقطت على الأرض منك. كل دمعة تسقط هي قطعة من روحك تذهب سدى».

كان الصمت يلف الغرفة، ثقيلًا وكئيبًا. لم يكن هناك سوى صوت الخشخشة الخفيفة للمنديل وهو يمسح الدموع. أبو نايف، الذي كان يجلس وحيدًا على الطاولة، بدا وكأنه جزيرة وسط بحر من الحزن. همس بصوت خافت: «لا أريد طعامًا. لا طعم للحياة بدونها.» أم حازم، التي كانت تحاول تهدئته، قالت بصوت حزين: «حتى الطعام تركك. ولكن عليك أن تأكل من أجلي، ومن أجل صحتك.» أبو حازم، الذي كان يشعر بالعجز، أمسك بمنديل ومسح دمعة سقطت على الأرض. نظر إلى أبو نايف وقال بصوت حازم: «امسح دموعك... لا تترك الدموع تنزل إلى الأرض. إنها كلماتك التي تسقط على الأرض، وكأنها تحرقها.» أبو نايف، الذي كان يئن من الألم، مسح دموعه بسكون. «لا أريد طعامًا... صدقني. لا أريد أي شيء.» .

كنت أحمله.» قال أبو نايف بصوت خافت، عيناه تتوهجان بشوق. «عندما يبكي، كنت أحمله بين ذراعي، وأهدهده حتى يهدأ. كان دافئًا كالشمس، وريحته تشبه رائحة الزهور.»

«من هو؟» سأل أبو حازم، حائرًا.

«من هو؟» ردد أبو نايف الكلمات، وكأنها سؤال لا يصدق. «إنه... إنه كل شيء بالنسبة لي.»

«هل كانت له دموع؟» سألت أم حازم بصوت خافت، وكأنها تخشى الإجابة.

«أمسح بها وجهي.» أجاب أبو نايف، وعيناه تملؤهما الدمع. «كنت أقول له: (لا تبكي يا صغيري، سأكون دائمًا هنا معك).»

توقف أبو حازم للحظة، ثم قال بصوت خافت: «دمعة واحدة.»

«كنت أعرف أنه جائع.» أضاف أبو نايف، وكأنه يتحدث إلى نفسه. «كنت أضع إصبعي في فمه، وكان يمصها بشدة. كنت أشعر بسعادته، وكأنني أعيش من جديد.»

كانوا يجلسون حول النار، ومضات اللهب تتمايل على وجوههم. أبو نايف كان ينظر إلى النار، عيناه تتأملان في الماضي. «كنت أحمله.» قال بصوت خافت، وكأنه يتحدث إلى نفسه. «عندما يبكي، كنت أحمله بين ذراعي، وأمشي به في الحديقة. كان ينظر إلى النجوم، ويبتسم.»

«من هو؟» سأل أبو حازم، وهو يحرك جذوة النار.

«إنه كل شيء بالنسبة لي.» أجاب أبو نايف، وعيناه تملؤهما الدمع. «كان جزءًا مني.»

«هل كانت له دموع؟» سألت أم حازم بصوت خافت، وكأنها تخشى الإجابة.

«أمسح بها وجهي.» أجاب أبو نايف، وعيناه تملؤهما الدمع. «كنت أقول له: ‹لا تبكي يا صغيري، سأكون دائمًا هنا معك›.»

توقف أبو حازم للحظة، ثم قال بصوت خافت: «دمعة واحدة.»

«كنت أعرف أنه جائع.» أضاف أبو نايف، وكأنه يتحدث إلى نفسه. «كنت أضع إصبعي في فمه، وكان يمصها بشدة. كنت أشعر بسعادته، وكأنني أعيش من جديد.»كنت أحمله.» قال أبو نايف بصوت خافت، وكأنه يحمل العالم بين يديه. «عندما يبكي، كنت أحمله بين ذراعي، وأغني له أغنية النسيان.»

«من هو؟» سأل أبو حازم، حائرًا.

«إنه كل شيء بالنسبة لي.» أجاب أبو نايف، وعيناه تملؤهما الدمع. «إنه قطعة من قلبي ضاعت.»»هل كانت له دموع؟» سألت أم حازم بصوت خافت، وكأنها تخشى الإجابة. «أمسح بها وجهي.» أجاب أبو نايف، وعيناه تملؤهما الدمع. «كنت أقول له: ‹لا تبكي يا صغيري، سأكون نورك في الظلام›.»

جلس أبو حازم وأم حازم تحت المعرش الخشبي المتداعي، والذي كان شاهداً على سنوات من السعادة والأحزان. بينما

كان أبو نايف يجلس بعيداً، وقد شحب وجهه كالقمر في الليالي المقمرة، وتيبس جسده كشجرة عتيقة. كانت أوراق العنب المتساقطة تتناثر حوله، وكأنها ترثي حاله. كان يشهق بين الحين والآخر، وكأن أنفاسه ثقيلة، وكأن سنوات العمر قد تخلت عنه دفعة واحدة. كان يفكر في الماضي، في الأيام التي كان يلهو فيها مع أبنائه في هذا المكان نفسه، وكيف أن الزمن يمضي بسرعة، ويتركنا وحيدين. كان يشبه سفينة تائهة في بحر من الحزن، تبحث عن مرسى لا تجده.

ظل الصمت ثقيلًا يملأ الأجواء، بينما همسات الريح تتراقص بين أوراق الشجرة الوحيدة في المكان، وكأنها تعزف لحنًا جنائزيًا يواسي القلوب المكلومة. جلس أبو نايف ساكنًا، غارقًا في عالم خاص به، عالم صنعته الذكريات، مزيجٌ من لحظات مؤلمة وأخرى سعيدة.

كان يسرح في وجه طفله الصغير، الذي كان يومًا ما يملأ حياته ضجيجًا بريئًا. تذكر وجهه الشاحب، عيناه اللتان كانتا تحملان براءة العالم بأسره، وملابسه الممزقة التي كانت تخفي جسدًا منهكًا من المرض. صوت بكائه لا يزال يتردد في أذنيه وكأنه حدث بالأمس، حين كان يحمله بين ذراعيه محاولًا، عبثًا، أن يخفف آلامه.

أبو نايف (يهمس بصوت مبحوح، كأن كلماته تحفر عميقًا في صدره):

«كنت أعرف... كنت أعرف أنه مريض، وأن ملابسه وسخة... كنت أعرف، لكن لم أملك شيئًا أفعله. كأنني كنت أقف عاجزًا أمام بحر من الألم.»

رفع رأسه قليلاً، وعيناه تغرقان في بحر من الدموع التي عجز عن كتمانها. كان كل كلمة ينطق بها كجرح جديد يفتح في قلبه، يذكّره بعجزه في تلك اللحظات.

أم حازم (تجلس بجانبه، تمد يدها بحنو لتلامس يده المرتجفة، تتحدث بنبرة دافئة كأنها شعاع نور في الظلام):

«عندما كان يبكي... كنت تجلس بجانبه، تسهر ليلك لتخفف عنه. كنت دائمًا حاضرًا يا أبا نايف، رغم كل شيء. لا تظلم نفسك.»

كانت كلماتها كيد تُربّت على كتف الذكريات، تُعيد إلى السطح لحظاتٍ من الحب الصادق الذي لم يخفف الألم، لكنه كان كل ما يملكونه.

أبو حازم (ينظر إليه بصمتٍ، وكأن عينيه تبحثان عن الكلمات المناسبة. أخيرًا ينطق برفق):

«وتركوك.»

الكلمة كانت كالسهم، أصابت قلب أبو نايف مباشرة. صمت للحظة، وكأن كل شيء توقف، ثم تنهد بعمق، وكلماته خرجت كأنها حطام حزن دفين:

«نعم، تركوني. تركوني وحدي مع هذه الذكريات، مع هذا الألم الذي لا ينتهي.»

لحظة صمت أخرى تغلف المكان، لكن الرياح تهب وكأنها تحتضن الأرواح المكسورة. القمر يظهر من بين الغيوم، يسكب ضوءه الفضي على الثلاثة. يبدو المشهد وكأن الطبيعة نفسها تشاركهم حزنهم، لكنها تهمس بوجود أمل خفي، ينتظر أن يُكتشف.

في غرفة يغمرها السكون، لا يكسره سوى صوت الرياح وهي تعبث بأوراق الشجر الجافة، جلس أبو نايف محطمًا، كأنه يحمل على كتفيه ثقل العالم. عيناه مغمضتان بإحكام، وكأنهما تحاولان صد طوفان الذكريات الذي يأبى إلا أن يغرقه. همس بصوت بالكاد يُسمع، كأن الكلمات تتشبث ببقايا قوته المهدورة:

«أرجوكم...»

تقدمت أم حازم بخطوات هادئة، وجلست بجواره، تمد يدها لتغطي يده المرتجفة بلطف يشبه حضن الأمومة. كانت تحاول أن

تنقل له شيئًا من قوتها وصبرها، لكن حتى كلمات المواساة بدت واهنة أمام حزنه الجارف.

هبّت الرياح فجأة، حاملة معها همسات الطبيعة وآهات الأشجار، كأنها تشاركهم في رثاء هذا الألم. أوراق شجرة يابسة تساقطت بخفة لتراقص الأرض، وكأنها انعكاس لذكريات أبو نايف التي لا تزال تسقط واحدة تلو الأخرى في قلبه، تتقاذفها الرياح كما تتقاذف مشاعره.

بدأت تلك الذكريات تتجلى في عقله بوضوح مؤلم: لحظة الفراق. كان يحمل طفله بين ذراعيه، جسد صغير ضئيل أنهكه المرض، وعينان بريئتان تحدقان فيه بضعف ممزوج برجاء. «أرجوكم لا تتركوني...» كانت تلك الكلمات الصغيرة، بصوتها المرتعش، أشبه بخنجر انغرس في قلبه.

حاول أن يبتسم لطفله يومها، أن يمنحه شجاعة لا يملكها، لكن دموعه كانت تفضحه. كانت تتساقط دون إذن، تغطي وجهه المرهق، تعبر عن كل ما حاول إخفاءه من حزن وأسف. كان يشعر حينها بأنه فشل... فشل في أن يكون الحامي، في أن يكون المنقذ.

في تلك اللحظة، كسر الصمت صوت أبو حازم، الذي جلس على الجانب الآخر، ينظر إلى صديقه بنظرة حملت أكثر مما

نطقت. قال بهدوء، لكن بنبرة بدت وكأنها ختمت هذا المشهد الحزين:

«لا تُوصِّ حريصًا.»

كانت الكلمات ثقيلة، كأنها وضعت حدًا للجدل الداخلي في قلب أبو نايف. لكنها أيضًا كانت مرآة تعكس حزنه العميق، حزنًا جعله فاقدًا للكلام، فاقدًا حتى للقدرة على الحركة. جلس كتمثال من الذكريات، أسيرًا لحكايات ماضٍ يأبى أن تركه.

القسم الثاني

لحظات الصمت في غرفة صغيرة

جلس أبو حازم وأم حازم في غرفة الجلوس الصغيرة، التي بدت وكأنها أسيرة لذكريات مضت وخلّفت وراءها عبق الحنين. كانت الغرفة أشبه بمتحف للزمن؛ كل زاوية فيها تحمل قصة، وكل قطعة أثاث تروي حكاية.

الأثاث الخشبي المتشقق حمل آثار السنين، كأنه يشهد بصمت على كل لحظة فرح أو دمعة مرت في هذا المكان. الستائر المتهدلة كانت تعانق النافذة الصغيرة في الجدار البعيد، تحجب ضوء الشمس الخافت الذي يحاول عبثًا أن يتسلل إلى الداخل. تلك النافذة، المغطاة بطبقة كثيفة من غبار الزمن، بدت وكأنها عين حزينة تراقب العالم الخارجي بصمت.

على الأرض، سجادة قديمة ملقاة كأنها خارطة لذكريات الماضي، آثار أقدام قديمة محفورة عليها بعمق، وكأنها حروف مكتوبة بحبر الزمن. كل خطوة كانت تهمس بحكاية: ضحكة طفل

بريئة تتردد في الأرجاء، خطوات مسرعة لوالد يلاحق أحلامه، يترك وراءه غبارًا من الأمل، أو ربما خطوات بطيئة لأم متعبة تعود بعد يوم طويل، تحمل هموم الدنيا على كاهلها. بينما كانت تنظر إلى السجادة، تذكرت أم حازم الأيام التي كانت تجلس مع أطفالها على هذه السجادة، تقرأ لهم قصصًا قبل النوم. كل خطوة كانت تذكرها بلحظة من السعادة البريئة.

أبو حازم جلس هناك، وعيناه تجولان في أرجاء الغرفة، وكأنهما تبحثان عن شريط ذكريات يمسح عنهما غبار الوحدة. كان يتذكر الأيام التي كانت هذه الغرفة تعج بأصوات الضحك وصخب الأطفال. كيف كانوا يتسابقون حول الأثاث، وكيف كانت ضحكاتهم ترتفع حتى تملأ الأرجاء. الآن، الغرفة ساكنة، والصمت يخيم عليها وكأنه ضيف ثقيل لا يريد المغادرة.

أما أم حازم، فكانت غارقة في أفكارها. تساءلت بصوت لا يسمعه إلا قلبها:

«كيف وصلنا إلى هنا؟ كيف استطاع الحزن أن يلتهم كل هذا الفرح؟»

كانت تتأمل الستائر المتهدلة، وكأنها ترى فيها استعارة لحياتهم التي أثقلها الزمن. ومع ذلك، كانت هناك لمسة من الدفء، شعاع

صغير من أمل ينبعث من الضوء الخافت المتسلل عبر النافذة. ربما كان يقول لها:

«حتى وسط الغبار والعتمة، ما زال هناك نور يحاول أن يجد طريقه.»

جلس أبو حازم على الكرسي الخشبي العتيق، الذي أطلق صريرًا تحت وطأة جسده المثقل بالهموم. وضع يده على خده بتعب واضح، وترك عينيه تسرحان نحو السقف المتصدع. تلك الشقوق التي تقطّع السقف كانت تبدو له وكأنها خرائط لذكريات عالقة في زوايا الماضي، تختبئ بين شبكات العنكبوت التي تراقب بصمت سنوات من الوحدة.

بصوت منخفض ومثقل بالشجن، قال:

«الجميع كانوا هنا... الجميع. جلسنا حول هذه الطاولة، نتسامر حتى ساعات الليل المتأخرة. كنا نضحك حتى تدمع أعيننا، نحكي النكات ونصنع عوالمنا الخاصة. كنا أطفالًا كبارًا نبني القلاع من الوسائد ونخوض معارك وهمية. كانت الحياة أبسط، لكن كانت مليئة بالدفء.»

توقف لبرهة، وكأنما الصوت الذي خرج منه كان ثقيلاً على قلبه، ثم أطلق تنهيدة طويلة. صوته صار مبحوحًا وهو يضيف:

«أريد أن أنام... ولكن الذكريات تأبى أن تسمح لي. كلما أغمضت عيني، رأيتهم. كأننا كنا نجومًا لامعة تتجمع في سماء واحدة، لكن الرياح جاءت وفرقتنا. الآن، كل نجم في سماء بعيدة، لا أستطيع حتى رؤيتهم بوضوح.»

أم حازم، التي كانت تجلس على حافة الأريكة القديمة، التزمت الصمت. عيناها تحدقان في الأرضية المتآكلة التي شهدت خطوات أحبتها. مدت يدها برفق، وكأنها تحاول لمس أثر الذكريات المنقوش على الخشب، ثم همست بصوت بالكاد يسمع:

«الجميع كانوا هنا... لكن أين هم الآن؟»

كان صوتها مزيجًا من الحزن والتساؤل، كأنها تخاطب فراغ الغرفة الذي امتلأ يومًا بضحكاتهم. نظرت نحو النافذة الصغيرة التي تسللت منها أشعة الشمس الخافتة، وقالت:

«أين ضحكاتهم؟ أين أصواتهم التي كانت تضج بالحياة؟»

توقفت للحظة وهي تحاول السيطرة على دمعة تسللت من عينها، ثم أضافت:

«كأنهم أوراق شجر تساقطت في خريف قاسٍ، حملتها الرياح بعيدًا، وتركت الأغصان عارية. كنت أظن أن الخريف عابر، لكن يبدو أنه قرر أن يبقى في حياتنا.»

الرياح في الخارج بدأت تهب بلطف، وكأنها تحمل معها بعض الهمسات القديمة. ربما كانت تذكرهم بأن الفصول تتغير، وأن الربيع قد يعود يومًا ليزرع في الغرفة دفئًا جديدًا.

نسمة هواء باردة هبت من النافذة، حاملة معها رائحة التراب الرطب التي أثارت في قلب أبو حازم شعورًا غريبًا من الحنين. استنشق الهواء بعمق وكأنما كان يحاول أن يعيد لنفسه تلك اللحظات التي فاتت، تلك الذكريات التي كانت تلوح في أفق الزمان وكأنها تتناثر في الرياح. «كنا نشم رائحة الطعام تتصاعد من المطبخ، فرحة تنتظرنا على المائدة، تلك اللحظات التي كانت تحمل في طياتها طعم الحياة بكل ما فيها من بساطة وسعادة.» تحدث وهو يشعر وكأن الكلمات تعجز عن نقل مشاعره، فالصمت كان في قلبه أوسع من أي حديث.

أم حازم، التي جلست بجواره، أومأت برأسها ببطء، عيناها تتبعان خطوط النوافذ القديمة التي كانت تشهد على أيامٍ مضت. «كنا... وكانوا»، قالتها بصوت خافت، وكأنها تردد ترنيمة حزينة تملأ أركان هذا المنزل المترهل. كانت كلماتها تحمل بين طياتها أسى غير مرئي، وكأنها تحاول ربط الماضي بالحاضر وتلك اللحظة التي يعيشانها الآن معًا في صمتٍ طويل.

«كنا أسرة واحدة، نتجمع حول المائدة، نضحك، نتبادل الأحاديث والنكات التي كانت تعطر المكان، كان البيت يعج

بالحياة.» تابعت أم حازم حديثها بصوت يغلب عليه الحنين، لكن صمت هذا المنزل القديم كان يجيبها بكلماتٍ غير مسموعة، بكلمات مليئة بالحزن والفراغ. «لكن الآن، لا شيء سوى صمت هذا المنزل، ولا شيء سوى الذكريات التي تتناثر مع الرياح... أحيانًا نشعر وكأنهم لن يعودوا أبدًا.»

أبو حازم نظر إلى أم حازم بحزن عميق، ولكن عينيه كانت مليئة بالأمل الذي لا يزال يخفيه بين ضلوعه. «ربما... ربما لن يعودوا، ولكن ذكرياتنا تبقى معنا، كأنها تظل تضيء دروبنا المظلمة.»

ساد الصمت الغرفة، ثقيلًا وعميقًا، يخترقه فقط صوت عقارب الساعة التي تتسابق مع الزمن، وكأن كل لحظة تمر تترك خلفها أصداء من الحنين والذكريات. أم حازم فركت يديها بلطف، محاولةً أن تجد راحة في حركة بسيطة، ثم همست بصوت متهدج: «آه». كانت كلماتها تحمل بين طياتها همسات الحزن، كأنها تعبر عن شيء أكبر من مجرد ألم، شيئًا عميقًا في القلب.

أبو حازم، الذي كان عينيه تتنقلان في الظلام كمن يبحث عن شيء غائب، همس بصوت منخفض، وكأن الكلمات تأتيه بصعوبة: «أسمع صوتًا ما في الخارج. أسمع ضحكات الأطفال، وأصوات الطيور، وأزيز الرياح بين أغصان الشجر... وكأن الحياة لم تتوقف، وكأنها تملأ المكان من حولنا.» كانت نبرة صوته تحمل

مزيجًا من الحنين والحسرة، وكأن الماضي يراوده في كل زاوية من الغرفة.

أم حازم، التي كانت تجلس بجانبه، ابتسمت بلطف، ولكن ابتسامتها كانت مليئة بالمرارة والهدوء الذي يخفي وراءه شبحًا من الحزن العميق. «أنت تسمع أصوات الماضي، يا حبيبي. أصوات ضاعت مع مرور الزمن، أصوات من كانوا هنا... لكن الحاضر مختلف. الحاضر يعكس واقعًا قد تغير، ونحن هنا الآن، نحاول أن نتأقلم مع هذا الواقع.» كان صوتها هادئًا، ولكن في عمقه كان هناك قوة كبيرة، قوة تتحدى الألم وتحاول أن تشرق من خلال الظلام.

«لكن ماذا عن تلك الأصوات؟ هل ستظل تلاحقنا إلى الأبد؟» سأل أبو حازم، صوته يرتعش قليلاً. كان يشعر كما لو أن هذه الأصوات هي الحبل الذي يربطه بالماضي، لكن في نفس الوقت كان يعترف بأنها كانت تؤلمه.

أم حازم لامست يده بلطف، محاولة أن تمنحه الراحة التي فقدها. «أصوات الماضي جزء منا، يا حبيبي. هي ما شكلنا، ما جعلنا نكون هنا الآن. لكننا نستطيع أن نخلق أصواتًا جديدة، ونبني لحظات جديدة، لحظات مليئة بالأمل، بالتغيير، وبالتفاؤل رغم كل شيء.»

همست أم حازم لنفسها بصوت خافت، يكاد لا يسمعه سوى الهواء الذي يمر بين ثنايا الجدران، «هل كانوا سعداء هنا؟ هل تركوا لنا شيئًا سوى هذا الصمت المطبق؟» كلماتها كانت تحمل حزنًا غامضًا، وكأنها تسأل الكون نفسه عن سر السعادة التي كانت تغيب عنهم، عن تلك الأيام التي مضت سريعًا دون أن يدركوا معناها الكامل. كان الصمت الذي يملأ المكان وكأنه يجيب على تساؤلاتها، ولكن الرد كان دائمًا فارغًا، محملاً بمزيج من الأسئلة التي لم تجد إجابة.

أبو حازم، عينيه مثبتتان في الفضاء البعيد، أفكاره تتسابق كما لو كانت كل ثانية تحاول الهروب منه. «الوقت ينفد، والأيام تتلاشى كأوراق الخريف...» قالها بصوت مكسور، كأن الأوقات التي مضت كانت مجرد خيوط رقيقة تمزقها الرياح. «هل حققنا ما كنا نريد؟» كانت كلماته تتردد في أذنه، مثل صدى غريب يعود ليواجهه كلما حاول الهروب من عبء الزمن. هل كانت أيامهم مليئة بالإنجازات التي تستحق الفخر؟ أم كانت مجرد أيام تمر بلا أثر، يطويها النسيان في كل لحظة؟

أم حازم، عينيها تتجه نحو السماء الواسعة التي بدت خالية من النجوم، كما لو كانت تبحث عن شيء غير مرئي، شيء يمكن أن يمنحها الراحة أو الإجابة. «هل هناك حياة بعد هذا الهدوء؟»

تساءلت بصوت هادئ، ولكن قلبها كان يملؤه التوق إلى شيء أكبر من هذه اللحظة. هل ما زال هناك مكان للمستقبل؟ هل ستظل الأيام صامتة، أم ستعود الحياة لتنقض عليهم كما فعلت في الماضي، بكل ضوضائها وأفراحها؟

أبو حازم ارتعش جسده كما لو أن السؤال الذي طرحه كان ثقلاً لا يمكن تحمله، «هل هذا هو نهاية كل شيء؟» تساءل بصوت يملؤه الخوف من المجهول، وكأن الحياة قد أخذت منه كل شيء، وتركته عائداً إلى نقطة البداية التي لا أمل فيها. لكن في أعماق قلبه، كانت هناك شرارة صغيرة لا تزال تشتعل، شرارة أمل قديمة، ربما تكون ما يحتاجه ليواصل طريقه.

وبينما كان الصمت يحيط بهم، كان شيء ما ينمو في أعماقهم، شعور لا يمكن تجاهله. ربما كان هذا هو الوقت للتغيير، الفرصة للبدء من جديد. «نعم، يمكننا أن نخلق الحياة التي نريدها. يمكننا أن نكتب فصول جديدة من هذه القصة، فصول مليئة بالأمل، بالفرص التي لم تذهب بعد.»

فكر أبو حازم في نفسه، وهو يلتف حول نفسه وكأن البرد القارس لا يعبر فقط عن صقيع الهواء، بل عن شيء أعمق وأشد وقعًا في قلبه. «لماذا أشعر بهذا البرد الشديد؟ هل هو برد الجسد أم برد الروح؟» تساءل بمرارة، كأن الجليد الذي يخترق عظامه

قد اخترق أيضًا أعماق قلبه، تاركًا وراءه فراغًا لا يُملأ. كانت كل لحظة تمر كأنها عبء ثقيل يزداد على كاهله، كأن الزمن نفسه قد تجمد في مكانه، متوقفًا عن الحركة.

زفرت أم حازم في نفسها ببطء، عيناها تتنقل بين أركان الغرفة المظلمة التي شهدت آلاف اللحظات الصامتة، «متى سنخرج من هذا الظلام؟ متى سنشعر بالدفء مرة أخرى؟» سأل قلبها قبل لسانها، وقد تراكمت على صدرها هموم الأيام التي لا تنتهي. كانت تخشى أن تكون تلك الأيام هي النهاية، لكن كانت هناك شعلة صغيرة في قلبها تقاوم، تتطلع إلى النور الذي قد يظهر في أقرب الزوايا، حتى لو كان بعيدًا.

أبو حازم هز رأسه برفق، وكأنما يحاول التخلص من أفكار يائسة تلاحقه من كل جانب، وسأل نفسه بحزن عميق، «هل سأستطيع تحمل هذا البرد؟» كأن البرد أصبح أكثر من مجرد إحساس، بل أصبح اختبارًا حقيقيًا لقوته وصبره. كان كل جزء في جسده يشعر وكأن السنين قد أضافت ثقلاً أكبر عليه، ثقلاً قد يعيق قدرته على التحمل.

أم حازم نظرت إليه بتعب، قلبها مليء بالتساؤلات التي لا إجابة لها، بينما أفكارها تتصارع داخل عقلها. «كيف يمكنني أن أساعده؟» تساءلت في نفسها، وكأن كلماتها المطمئنة لا تكفي،

وكأن الشجاعة التي تحاول أن تمنحها له قد بدأت تتلاشى. كانت تعرف أنها بحاجة لإيجاد القوة من مكان ما، لكن كل شيء حولها كان مظلمًا، وها هي تبحث عن شعاع صغير من الأمل.

أبو حازم رفع يديه إلى السماء، كما لو أنه يستغيث، باحثًا عن إجابة أو ضوء يمكنه أن يوجهه إلى بر الأمان. «أريد أن أختفي، أن أذوب في هذا البرد.» قالها بنبرة مهزومة، كأن الألم الذي يشعر به قد وصل إلى حد لا يمكن تحمله، وكأن كل رغبة في الاستمرار قد تبعثرت في الرياح. كان مستسلمًا لذلك الشعور القاسي، وكأن البرد قد صار صديقًا له، لا يستطيع فراقه.

أم حازم نظرت إليه بدهشة وحيرة، قلبها ينفطر لرؤيته بهذه الحالة. كانت كلماتها حائرة، عجزت عن العثور على الكلمات التي قد تواسيه أو تمنحه القوة. «ماذا أقول له؟» تساءلت في نفسها، بينما تلمس يدها قلبه كما لو كانت تحاول أن تلامس روحه التي تائهة. «كيف أشرح له أن الحياة أحيانًا تكون قاسية؟» لم يكن لديها إجابة واضحة، ولكنها كانت تعلم في أعماقها أن هناك دائمًا طريقًا للنور، حتى في أشد الظلمات. «لن نعيش هنا للأبد، يا حبيبي. معًا، سنجد الطريق. لا يجب أن نخاف من هذا البرد، فكل شتاء له نهاية، وكل فجر له شروق.»

أبو حازم يئن من البرد، جسده يرتعش كطفل صغير ضاع في عالم مظلم. البطانية الرقيقة التي يلف بها نفسه لا تكفي لتحميه من قسوة الشتاء الذي يتغلغل في عظامه. كان يتخيل أنه يعود في الزمن إلى أيام طفولته، حين كان يختبئ تحت الأغطية الثقيلة، بحثًا عن دفء كان يشعر به بين ذراعي والدته. كان ذلك الدفء الذي يعينه على مواجهة عالم بارد وقاسٍ. الآن، كبر وتغيرت الأيام، ولكن تلك الحاجة للمأوى، للحماية، لتلك الكلمة الطيبة التي تعيد له شعور الأمان، ما زالت تلح عليه في هذا المساء البارد.

أم حازم، التي تجلس بجواره، تحاول أن تغطيه بالبطانية مرة أخرى، لكن حتى تلك اللفافة الصغيرة لم تُمَسِّ قلبه الذي بات ينزف ألمًا لا يستطيع أحد أن يراه. لم يكن البرد الذي يشعر به مجرد إحساس بالجسم، بل كان جرحًا عميقًا في روحه، جرحًا لا يستطيع الوقت أن يشفيه. كانت عيناها مليئتين بالدموع، والعجز يتسلل إلى قلبها. لا تستطيع أن تُدَفِّئه بما يكفي، ولا تستطيع أن تعيد له تلك الأيام التي كان يشعر فيها بالراحة وسط عائلة مترابطة.

«ماذا يمكنني أن أفعل؟» تساءلت في نفسها، لكن كلماتها تظل عالقة في حلقها، وكأنها لا تجد السبل للوصول إلى قلبه. كانت تعرف تمامًا أن البرد الذي يشعر به أكبر من مجرد برودة الطقس؛ كان بردًا في القلب، في الروح، في تلك الأماكن التي لا تراه العيون.

تحاول أن تُعبِّر له عن حبها، عن عاطفتها، ولكن الكلمات كانت تفر منها في كل مرة.

كانت تدرك أن الزمن قد أخذ منها الكثير، وأن الحياة لم تكن رحيمة كما كانت تأمل. لكن أم حازم كانت تؤمن بشيء واحد: حتى في أقسى اللحظات، وعندما تبدو الحياة بلا أمل، هناك دائمًا بصيص من الضوء. قد لا يكون اليوم هو اليوم الذي يشعر فيه بالدفء، لكنها كانت تعلم أن كل لحظة من الأمل، حتى وإن كانت صغيرة، هي ما يحتاجه أكثر من أي وقت مضى. «لن أتركك، مهما كان البرد قاسيًا، ومهما طال الليل. سنواجه هذا معًا، وسنجد الدفء في قلوبنا.»

ابتسمت له برفق، بينما تضع يديها حوله وتغلفه بالحب الذي قد لا تراه عيناه الآن، ولكنها على يقين أنه يشعر به.

لفَّت أم حازم شالًا صوفيًا قديمًا حول جسد زوجها المرتجف، وكأنها تحاول جاهدة استعادة دفء السنوات الماضية، حين كان البيت مليئًا بالحياة والضحكات. همست بصوت خافت، كأنها تروي قصة قديمة عالقة في طيات الزمن: «وهذه أخرى يا حازم.»

تعلقت عيون أبو حازم، الغارقة في ظلال الماضي، بسقف الغرفة الذي بدا وكأنه يحتفظ بحكايات منسية. كان يبحث بعينيه عن شيء ما في ظلمة الحاضر، شيء يعيد إليه الأمل أو يخفف من

وطأة الذكريات. همس بصوت يكاد يُسمع: «أين حازم؟» وكأن اسم ابنهما، الذي كان يومًا محور حياتهما، أصبح آخر خيط يربطه بالعالم.

أغمضت أم حازم عينيها بإحكام، محاولةً طرد صورة ابنها الصغير، حازم، وهو يركض في الفناء وضحكاته تتردد في أرجاء المنزل. خرجت كلماتها كأنها شهقة مكتومة: «ليس لدينا أطفال يا حازم...»

تجمد الزمن للحظة، وساد صمت في الغرفة كأنها تحاول مواساتها في ألمها. شعر أبو حازم بقشعريرة باردة تتسلل إلى عظامه، كأنها يد خفية تذكره بالفراغ الذي ملأ كل زاوية في حياتهما. همس بصوت متهدج، يتسلل بين أحزان قلبه: قشعريرة لا تفارقني أبدًا...»

كان الحزن يشبه رياح الشتاء العاتية التي لا تهدأ، تحيط به من كل جانب. لكن وسط هذه العتمة، كان هناك ضوء خافت ينبعث من ذكريات حب دافئ، حب أضاء سنوات طويلة رغم كل الخسارات..

في صمت الليل الدامس، كان صفير الريح يتسلل عبر الشقوق الضيقة في النافذة، كأنه يروي حكاية منسية خبأتها الأيام في طيات الزمن. كان الهواء بارداً، لكنه مشبع بعبق الذكريات، وكأن كل نسمة تحمل معها همسات من الماضي. همس أبو حازم بكلمة

واحدة، «هدوء»، خرجت كتعويذة سحرية تسعى لإيقاف الزمن في مكانه، وكأنها تعبير عن رغبة ملحة لتجميد اللحظة والحفاظ على هذا الصمت الهش.

أم حازم، حارسة هذا السكون الرقيق، وقفت قرب النافذة بعينين متوترتين، تتأمل الظلام وكأنها تخشى أن ينفجر فيه أي صوت فيحطم جدران هذا الهدوء الثقيل. همست لنفسها بصوت خافت لكنه مشبع بالأمل: «هدوء... هدوء»، كررت الكلمة وكأنها تسعى لتطويقها بالجدران، لتجعل منها حصنًا يحميهما من ضجيج الواقع.

في ركن الغرفة المظلمة، كانت عينا أبو حازم الغائرتان تغوصان في عمق الظلام، تحاولان الإمساك بشيء غير مرئي. وفجأة، انبعث صوته كنسمة مرتعشة: «هل الولد نائم؟» كان سؤالًا بسيطًا، لكنه يحمل في طياته ثقلًا هائلًا، وكأن هذا السؤال وحده هو ما يجعله متشبثًا بالحياة.

أم حازم، التي أثقلت هموم الحياة كاهلها، أطلقت زفرة طويلة كأنها تحاول التخلص من عبء لا ينتهي. ثم قالت بنبرة تجمع بين العتاب والتوسل: «قلت لك... هدوء!» لم تكن كلماتها مجرد رد، بل كانت صرخة صامتة تخشى أن يقطعها أي صوت، حتى لو كان صوت حبيبها.

كان الصمت في الغرفة ثقيلاً، كأنه غطاء من المخمل الأسود يحيط بهما برفق، لكنه يخنق كل صوت، حتى أنفاسهما بدت كهمسات خفية. اقترب أبو حازم، كالشبح الذي يتحرك ببطء، من النافذة، ووضع يده على الزجاج البارد كأنه يحاول إزالة الغبار عن ذكريات مضت. كان يبحث عن أثر، عن صورة، عن صدى ضحكة قديمة لا تزال تتردد في أذنه.

أما أم حازم، فكانت تقف كشمعة مشتعلة، تضيء بصمت لكنها تتآكل مع كل لحظة تمر. كانت تحترق ببطء، تذوب تاركة وراءها رمادًا من الأمل الذي لم يعد له مكان. لكنها لم تستسلم، لأنها كانت تدرك أن هذا السكون الهش هو كل ما يملكانه الآن، وكل ما يربطهما بشيء من الحياة.

الغرفة، وكأنها قبر صغير يحتضن أحلامًا ميتة، لكنها لا تزال تنبض بصمتها الثقيل، كأنها ترفض الاستسلام للنسيان. بين جدرانها، تنعكس ظلال الماضي وتتداخل مع خيوط الحاضر، لتشكل مشهدًا كئيبًا، لكنه لا يخلو من بصيص أمل.

أبو حازم، كالسفينة التي أرهقها الطوفان، يتأرجح في بحر من اليأس، وعيناه تبحثان عن منارة بعيدة، عن نور خافت يضيء عتمة الظلام. كل خطوة يخطوها تثقل كاهله، لكنها مشبعة برغبة عميقة في العثور على شاطئ الأمان، على ذرة من الحياة تختبئ بين الأمواج.

أما أم حازم، فهي كالشجرة القوية التي تصمد أمام العواصف. قد تساقطت أوراقها وانحنى جذعها، لكنها لا تزال متمسكة بالأرض بجذورها العميقة. كل تشققة على سطحها تروي قصة، وكل جذر متشبث يعكس قوة خفية تمنعها من السقوط. ورغم الجفاف الذي يحيط بها، فإنها تحمل في أعماقها بذورًا صغيرة تنتظر قطرة ماء لتستعيد حياتها.

في هذا المشهد المظلم، يتجلى الأمل بين السطور، إذ حتى في أحلك اللحظات، توجد قوة خفية تشبه شعاع الشمس الذي يتسلل عبر غيمة كثيفة. تذكرهم بأن الصمود بحد ذاته يعد انتصارًا، وأن الحياة، رغم قسوتها، تحمل في طياتها وعودًا خفية بلحظات قد تعيد الدفء إلى قلوبهم المتعبة.

في غرفة تغمرها الظلال، حيث يكافح خيط وحيد من ضوء القمر لاختراق الحجاب الثقيل للظلام، جلست أم حازم على حافة السرير، مثقلة بأعباء الأحزان غير المعلنة. عيناها المنهكتان، رغم شحوبهما، تحملان نظرة تجمع بين الحنان واليأس، وكأنها تبحث عن شذرة من الطمأنينة التي ضاعت منذ زمن بعيد في الفراغ.

بصوتٍ مرتعش يكاد لا يُسمع، كسرت أم حازم حاجز الصمت قائلة: «من تكون هذه؟»

رفع أبو حازم عينيه ببطء، وكان يشعر بثقل في رأسه وكأن سلاسل غير مرئية من الذكريات تسحبه إلى الأسفل. بصوت أجش يحمل في طياته جراحًا قديمة، أجاب: «سميرة... تلك التي كانت دائمًا مصدر المتاعب في حياة حازم.»

تبع ذلك صمتٌ ليس غيابًا، بل حضورٌ خانقٌ—قوةٌ كثيفةٌ تتسلل إلى الغرفة، تستدعي أشباحًا منسية. خيم على أم حازم شعورٌ ثقيلٌ حتى انفجرت فجأة، وكأنها تطلق العنان لمشاعر مكبوتة، بصوتٍ صارخٍ مليء بالغضب المكبوت: «قلت لك ألف مرة—لا حازم ولا سميرة! يكفي!»

انحنى أبو حازم برأسه مرة أخرى، ورفع يده إلى وجنته، كأنه يحاول تهدئة العاصفة التي تعصف بأفكاره. استرجع ذكرى بعيدة، باحثًا عن لحظة أكثر أمانًا، وتمتم بتردد: شتريت كرة قدم لحازم ذات مرة. هل تذكرين ذلك؟»

تنهدت أم حازم بعمق، وكأنها تغوص في بحر من الحنين. عادت بذاكرتها إلى لحظة عابرة، حيث كان طفل صغير يركض وراء الكرة، ضاحكًا بابتسامة لا تعرف الانكسار. وبصوت هادئ يكتنفه الحزن، أجابت: «الكرة... ضاعت.»

نظر أبو حازم إليها بذهول، وحاجباه معقودان في تعبير عن حيرة

عميقة. «من أخذها؟» سأل ببراءة، لكن سؤاله كان يحمل في طياته تعقيدات عديدة.

ارتسمت على شفتي أم حازم ابتسامة مريرة، تحمل في طياتها ثقل العديد من الحقائق. كانت كلماتها هادئة، لكنها مشبعة بالرهبة، ملأت الغرفة بصدى الحقيقة المؤلمة: «سميرة لم تأخذها! الكرة ضاعت... تمامًا كما ضاع حازم.»

بدت الغرفة، التي كانت مظلمة في السابق، وكأنها تنكمش تحت وطأة أحزانهما المشتركة. ومع ذلك، وسط هذا المد الخانق من الألم، لمع خيط رقيق من الأمل في أعماق قلبيهما. ربما، فقط ربما، ستعود تلك الكرة المفقودة، مثل كل الأشياء الضائعة، لتجلب معها قطعًا مما كان يومًا ما مكتملًا.

في عمق الليل، حيث يكتنف الظلام العالم بقبضته القاسية، انبعث صوت أبو حازم، مرتعشًا ومكسورًا، كهمسة خافتة لموجة مكسورة تصطدم بشاطئ بعيد: «سميرة... كانت تحب الدمى.»

أجابت أم حازم بصوت خافت يكاد يُسمع في خضم الصمت الثقيل، وكأنها تتحدث إلى الظلال نفسها: «أشعر بضعف كبير... وكأن الحياة تأخذ مني شيئًا جديدًا كل يوم.»

وضع أبو حازم يده على صدره، كأنه يسعى للعثور على الثبات وسط العاصفة التي تعصف به، أو ربما يحاول ملء الفراغ الهائل

الذي يبتلع روحه. خرجت كلماته متقطعة وبطيئة، لتحطم الصمت من جديد: «أشعر أنني لا أستطيع النوم... وكأن الليل أصبح عبئًا، يثقل كاهلي ولا يتركني في راحة.»

رفعت أم حازم نظرها نحو السقف، وكانت عيناها تبحثان عن نجمة، عن إشارة، عن أي شيء يمكن أن يملأ هذا الفراغ القاسي. تبعت كلماتها أفكارها، التي كانت فارغة ومليئة بالحنين: «أشعر أنني لن أرى أولادي مجددًا... وكأنهم أصبحوا حلمًا تائهًا في مهب الريح.»

أغلق أبو حازم عينيه ببطء، متعمدًا، وفي ظلام جفنيه استحضر صورة ابنته سميرة. كانت ابتسامتها البريئة كوميض خافت في زوايا ذاكرته. خرج همسه منه كأنه شبح: «أشعر أنني لن أرى سميرة مجددًا... وكأنها تلاشت في ضباب الذكريات.»

خفضت أم حازم صوتها، وكأنها تتحدث في سر مع الليل نفسه. كانت كلماتها تحمل ثقل الاشتياق وألم الفقد: كان يلعب هنا.» وأشارت إلى بقعة فارغة على الأرض، حيث كانت ضحكات طفل تتردد في هذا المكان يومًا ما.

انتقلت عينا أبو حازم إلى زاوية أخرى من الغرفة، وصوته مثقل بالحزن وهو يجيب: «وسميرة... كانت تلعب هناك.» مدّ يده نحو

زاوية مظلمة، حيث استدعت إشارته صدى أغنية أو ضحكة أو لحظة متجمدة في الزمن.

فركت أم حازم يديها ببطء، وكأنها تبحث عن دفء مفقود. همست بصوت مرتعش: «أين البطانية؟ لا أستطيع تحمل هذا البرد... وهذا الفراغ.»

رفع أبو حازم عينيه نحو النافذة، حيث أصبح زجاجها مرآة باردة تعكس وحدته. خرج صوته خافتًا ومتعبًا: «كانت على ظهري يومًا... وكأنها تحميني.»

جاء ردها برقة، ورأسها ينحني تحت وطأة حقيقة غير معلنة: أصبحت الآن تحت سيطرتي... وكأنها أصبحت جزءًا من هذا الفراغ الذي يبتلعنا.»

نظر إليها في تلك اللحظة، متأملًا تجاعيد وجهها التي أثقلها الزمن، وعينيها الغارقتين في بحور الحزن. بصوتٍ منهك، سأل: «أين هي؟»

أجاب بصوت مبحوح، يعبّر عن ألمٍ عميقٍ يفوق قدرة الكلمات على التعبير: أصبحت الآن تحت سيطرتي... جزءًا من هذا الفراغ الذي لا نهاية له.»

توقفت الكلمات، لكن الغرفة استمرت في الحديث. لم يكن صمتها خاليًا، بل كان كائنًا حيًا ينبض بصدى ما فقد وثقل ما تبقى.

ضغط الصمت عليهما، موحدًا حزنهما، لكن وسط قبضته الخانقة، كان هناك وميض صغير من النور يتلألأ، هشًا لكنه مستمر.

ربما، فقط ربما، حتى في أحلك لحظات اليأس، يمكن لشظايا ما كان يومًا أن تجد طريقها إليهما. قد يتمكن الفراغ، الواسع والقاسي، من أن يُملأ—ليس بما فقد، بل بشيء جديد، شيء يمكنه أن يجلب الدفء إلى البرد، والنور إلى الظلام.

كان أبو حازم جالسًا في زاوية الغرفة، مائل الكتفين تحت وطأة عبء بدا وكأنه يمتد إلى ما وراء جدران تلك الغرفة الضيقة. كان الصمت يحيط به، لكنه لم يكن صمتًا عاديًا. بل كان كصمت يحمل في طياته همسات حياة مستمرة، صمتًا ثقيلاً يحمل ماضيًا لم يُغفر له. همس بصوت مبحوح بالكاد يصل إلى أذنه، قائلاً: «مسكينة.»

رفعت أم حازم حاجبها، وكانت تلك الحركة الصغيرة تعكس مزيجًا من الفضول والقلق. اقتربت منه بخطوات مترددة، وكأنها تخشى أن تخلّ بسلامٍ هش. سألت: «من تعني، يا حازم؟»

رفع رأسه ببطء، وكانت عيناه تعكسان مزيجًا من التعب وذكريات قديمة لا تزال حية في ذهنه. أشار برأسه نحو النافذة، حيث كانت أضواء منزل الجيران تومض بخفوت. «أم سارة.»

بدت أم حازم وكأنها تلقت صدمة غير متوقعة. «أم سارة؟» صمتت للحظة قبل أن تضيف بصوت خافت، «تقصد أبو سارة؟»

أومأ برأسه وأطلق تنهيدة طويلة، وكأنها تنبع من أعماق لا يستطيع أحد الوصول إليها. «نعم... بالسوط.»

تجمدت الكلمات على شفتيها، وسرت رعشة خفية في ملامح وجهها. «بالسوط؟!»

هز رأسه مرة أخرى، لكن هذه المرة كانت الحركة بالكاد تُلاحظ. كانت عيناه تتألقان بشيء غامض، كألم عميق يشبه حفرة مظلمة في روحه. «بالسوط. نفس السوط الذي يجلد روحها يومًا بعد يوم، حتى تصبح الظلال على جسدها أضعف من صرخاتها.»

عاد إلى التحديق في الفراغ، وكأنه يحاول الوصول إلى شيء بعيد، شيء يتلاشى أمام عينيه كلما اقترب منه. وفجأة، همس بصوت يكاد يختفي، قائلاً: مسكينة.»

نهضت أم حازم من مكانها، وعيناها تعكسان قلقًا لا يمكن تجاهله. «ما الذي يجعلك تتحدث عن هذا الآن؟»

أغمض عينيه للحظة، وكأن تلك الحركة البسيطة كانت محاولة يائسة للاحتفاظ بالذكريات، لكنه لم ينجح. ثم فتح عينيه ببطء وقال: ذكرين عندما كنا صغارًا ورأينا ذلك الرجل في السوق؟»

لم تتحدث، لكن نظرتها كانت تعبر عن الموافقة، وكأنها تحمل ذكرى قديمة ترفض أن تفارقها.

ابتسم ابتسامة مريرة، كانت أكثر قسوة من البكاء. «نفس المشهد... نفس السوط... لكن الضحية ليست حمارًا هذه المرة. إنها إنسانة. وكل ضربة تأخذ منها جزءًا.»

عاد الصمت ليغمر الغرفة، لكنه لم يكن صمتًا مريحًا. بل كان صمتًا كئيبًا وثقيلًا، لا ينكسر إلا بأنفاسهم المتعبة.

وقفت أم حازم هناك، تحدق فيه طويلاً، ثم اقتربت منه بخطوات حذرة. «حازم، هل يمكننا أن نفعل شيئًا؟»

التفت إليها ببطء، وكأنه يبحث في ملامح وجهها عن إجابة يعلم أنه لن يجدها. قال: أحيانًا، كل ما يمكننا فعله هو أن نكون شهودًا. شهودًا على الألم والوحشية، عسى أن نمتلك يومًا القوة لكسر هذا السوط.»

تركت كلماته أثرًا في الأجواء، وكأن الليل نفسه بدأ يرددها بصوت خافت.

جلسا في ظلامٍ حالك، كان وكأنه يمتلك وزنـًا، يثقل على صدريهما كما تفعل الذكريات المدفونة بروحهما. كان القمر، شاحبـًا وبعيداً، يرسم ظلالاً باهتة على وجهيهما، كأنه مرآة تعكس حياتهما المتكسرة والموشحة بالصمت.

«كان حازم يُخفي الحزام جاءت كلمات أم حازم كهمسة بالكاد

تخرق سكون الليل، وكان صوتها أقرب إلى حديث داخلي منه إلى حديث مع شخص آخر.

رفع أبو حازم رأسه ببطء، وكأن الكلمات كانت حجراً أُلقي في بحيرة أفكاره الهادئة. كررها في نفسه بصمت، ثم نطق بها بصوت متردد، يعتريه ثقل الذكريات: «وسميرة كانت تخبئ اللعبة.»

تساقطت دموع أم حازم دون أي إنذار، كما يتساقط المطر في ليلة صيف حارة. همست بصوت مختنق، أقرب إلى أنين: سكينة، اللعبة!»

نظر إليها أبو حازم بدهشة، وكانت حركته بطيئة ومترددة، كأنه يخشى كسر شيء هشّ بينهما. وضع يده على كتفها، ملامسًا إياها برفق، لكن لم يكن يخلو ذلك من شعور بالخوف، وسألها: «لماذا تقولين ذلك؟»

رفعت رأسها نحوه، وكانت نظرتها تعكس كل أحزان العالم. لم تكن عيناها مجرد كلمات غير منطوقة، بل كانت قصة كاملة، سُطرت بدموع لا تنتهي. همست بشفاه مرتعشة: «كان حازم يضربها كل يوم.»

توقفت اللحظة وكأن الزمن قد تجمد. ساد السكون في كل شيء، باستثناء نبضات قلبيهما التي تسارعت تحت وطأة الكلمات. بعد

صمت طويل، قال أبو حازم بصوت خافت يكاد يخرج من حلقه: «بالسوط؟»

هزت رأسها ببطء، وكأنها تحمل ثقل العالم على عاتقها. «بالحزام الجلدي.»

تدفقت الذكريات كطوفان لا يمكن إيقافه. كان الصمت بينهما حواراً داخلياً مليئاً بالألم. ببطء، رفع أبو حازم يده عن كتفها، وكأنه يخشى أن يترك أثراً. ثم انحنى برأسه، وعيناه تبحثان عن شيء في الظلام، عن مخرج من الحقيقة التي طاردتهما.

«كم هي أشياء صغيرة... لكنها تحمل معاني عميقة!» نطق أخيراً، وكأنه يتحدث إلى القمر البعيد الذي يراقبهما بلا اهتمام. «الحزام يبدو كأنه لعبة صغيرة في أعيننا، لكنه يتحول إلى سلاح في يد الألم.»

أومأت أم حازم برأسها ببطء، وكأنها تغوص في بحر من الذكريات التي لم تعد تستطيع الهروب منها. «وعندما نخفيها... فإننا نخفي جزءاً من إنسانيتنا.»

عاد الصمت ليغمر الغرفة، لكنه لم يكن صمتاً خالياً؛ بل كان صمتاً مشحوناً بثقل الندم وبذور الأمل في الوقت نفسه.

«هل تعلمين؟» قال أبو حازم فجأة، بصوت يحمل نبرة من

العزم لم تكن متوقعة: «ربما ينبغي علينا أن نتحدث... وأن نصلح ما يمكن إصلاحه.»

نظرت أم حازم إليه بدهشة، وكأن كلماته كانت شعاع نور اخترق سحب الحزن الكثيفة. تسللت ابتسامة خفيفة، بالكاد تُرى، إلى شفتيها المتعبتين. قالت: «لنُخرج اللعبة من مخبئها ونضع الحزام في مكانه الصحيح.»

في تلك اللحظة، شعر كلاهما بدفء يتسلل إلى المكان، لم يكن هذا الدفء ناتجاً عن الضوء، بل كان ينبع من كلمات تحمل وعداً بكسر دائرة الألم المستمرة.

ظل رجلٌ مستلقيًا على فراشه، وجسده يغرق تحت ثقل ما يبدو أنه عبء غير مرئي، عبء يضغط عليه بإصرار لا يلين كما يفعل الحجر الضخم. كان كل جزء من جسده متعبًا، وكل مفصل يؤلمه، وكأن الزمن نفسه قد تآمر ليفرض عليه عبئًا لا يُحتمل. حاول أن يتحرك، أن يحرك ساقيه حتى ولو قليلاً، لكنه خذلهما كما يخون الظلام النور. رفع رأسه قليلاً، ثم انكسر مرة أخرى في مكانه، مستسلمـًا للقوة الساحقة لحالته. حتى أضعف أمل في الحركة بدا أنه قد تراجع عنه، بل ابتلعته السكون العميق الذي غمره.

بجانبها، وقفت امرأة، عيونها متورمة من الدموع التي لم تُذرف، تعكس حبًا عميقًا لكنه مشوب بالحزن العاجز. عندما كسر صوتها

سكون اللحظة، كان ناعمًا، ممزوجًا بالحنان الهادئ لشخص يدرك أن الكلمات لن تكون كافية لسد الفجوة بينهما. همست: «قم، يا زوجي العزيز، وتوكل على الله.»

هزّ رأسه ببطء، وكانت كل حركة منه مثقلة بتردد لا يفهمه سواه. وعندما نطق، خرج صوته كأنين خافت، يعبر عن كل ما عجز عن قوله. قال: «لا أستطيع، يا زوجتي العزيزة... هذا الجسد لم يعد لي.»

ثم شعر بشيء غريب يحيط به، ليس مجرد برودة ليالي الشتاء، بل شيء أعمق وأكثر خفاءً. لقد استحوذ عليه هذا الشعور بطرق لا تتعلق بحرارة الغرفة، بل ببرودة تسللت إلى عظامه. همس، وكأنه خجول من أن يكشف عن ضعفه: «أشعر بالبرد، يا أم حازم.»

كانت ابتسامتها تعبيرًا عن استجابة، لكنها لم تكن ابتسامة مريحة؛ بل كانت ابتسامة من أدركت أن الكلمات لن تخفف المعاناة التي تحيط بهما. كانت ابتسامة القبول، تحمل في طياتها صبرًا هادئًا. «سيزول البرد عندما تنهض.»

لكن في أعماق قلبه، كان أبو حازم يدرك الحقيقة. كان يعلم أن البرد الذي يتحدث عنه ليس مجرد برودة الهواء المسائي؛ بل هو بردٌ يعتصر روحه، غزته الأيام بالخوف وثقل الحياة. البرد الذي يحيط به الآن لم يكن قبضة الشتاء القارسة، بل هو صقيعٌ بطيء

وزاحف، ناتج عن الندم، وعن الأيام والسنوات الضائعة، وعن الفرص التي لم تُغتنم. كان بردًا لا يمكن التخلص منه بمجرد النهوض من السرير، لأنه لا يكمن في أطرافه، بل في قلبه، حيث كان يهدد بتجميده من الداخل.

ومع ذلك، بينما كان يستسلم لمرور الوقت، تحرك شيء غريب في داخله. كلمات أم حازم—البسيطة والمباشرة—تمكنت بطريقة ما من اختراق الكآبة التي كانت تحيط به. هناك، في هدوء حديثها، كان هناك شعاع خافت من الضوء، ضوء نجح، رغم كل شيء، في أن يسطع عبر الظلام. هل يمكن أن يكون هذا؟ هل يمكن أن تكون هذه اللحظة، وهذا الصوت الضعيف من زوجته، هو الشرارة التي تعيد إشعال روح القتال في داخله؟

نعم، كان البرد أكثر من مجرد شعور. كان تجسيدًا لبرودة أعمق بكثير، برودة لا يمكن التغلب عليها إلا بقوة لم يكن متأكدًا من أنه لا يزال يمتلكها. لكنه، في تلك اللحظة، أدرك شيئًا ما تحرك بداخله—شظية من الإرادة للتحرك، للنهوض مجددًا، ولأخذ الخطوة الأولى نحو التحرر من سنوات المعاناة. ربما، فكر، كانت هذه هي اللحظة. اللحظة التي يجب أن يمسك فيها بخيوط الأمل مرة أخرى، مهما كانت هشة، ليصنع منها شيئًا يمكنه كسر قيود اليأس.

الآن، لا يزال البرد قائمًا، ولكن هناك أيضًا فرصة للتغيير. وربما كان ذلك كافيًا.

في سكون غرفة نومهما، تلك الغرفة المثقلة بذكريات الأيام الخوالي، جلسا معًا يتبادلان نظرات تحمل معاني أعمق من الكلمات. كان الضوء الخافت يتسلل عبر الستائر، يلامس الجدران وكأنه يهمس بحكايات من زمن مضى—حكايات مليئة بالحب والحنين. بينهما كانت صورة قديمة، ألوانها قد تلاشت مع مرور الزمن، لكنها لا تزال تنبض بالحياة من خلال التفاصيل الرقيقة التي احتفظت بها. ظل نظر أبو حازم مشدودًا إلى الصورة، وعيناه تتبعان ملامح وجه حواء، الوجه الذي ظل في قلبه كما هو، حيويًا وعزيزًا كما كان في اللحظة الأولى التي رآها فيها. همس بصوت هادئ ومتردد، وكأنه يستحضر ذكرى ذلك اليوم الثمين: «حواء، هل تذكرين هذا اليوم؟»

أحاطت أصابع حواء بيده برفق، معبرةً عن قوة نابعة من سنوات طويلة من العيش معًا. مرت ابتسامة حزينة على شفتيها، تحمل في طياتها ثقل العديد من القصص غير المروية، وكأنها تعيش تلك اللحظة من جديد. كان صوتها رقيقًا كهمس، وكأن الكلمات تخشى أن تخرق سكون اللحظة: «آدم، أذكره كل يوم.» كانت كلماتها تتدلى في الهواء، مشبعة بالحب والحنين. كانت أصابعها

تتبع ملامح وجهه في الصورة، وكأنها تحاول أن تلتقط جوهر ذلك الرجل الذي عرفته جيدًا، في زوايا ذاكرتها.

دمعة، كانت مترددة في السقوط لكنها حتمية في نزولها الهادئ، خطّت طريقها على خد زوجي أبو حازم. لم تكن مجرد دمعة حزن، بل دمعة تأمل، تحية صامتة لكل ما عاشوه معًا، لكل لحظة نسجت حياتهما معًا. همس، وكأن ثقل مشاعره جعل الكلمات شحيحة: «إنها حواء، حب حياتي، لم تتغير قيد أنملة.»

شددت حواء قبضتها على يده، في حركة تعبر عن مشاعر أعمق من الكلمات، كإعلان صامت عن الولاء والحب الأبدي: «وأنا آدم، سأكون دعمك إلى الأبد.» كانت تلك لحظة وعد، وعهد غير منطوق، عهداً لا يمكن للزمن أو الظروف أن تمحوه.

في لحظة تأمل هادئة، أغلق أبو حازم عينيه. تخيّل نفسه مجددًا الشاب الذي كان عليه، واقفًا في نفس الغرفة، يضحك مع عروسه في يوم زفافهما، حيث كانت فرحتهما بلا حدود، تمامًا كما كان المستقبل الذي ينتظرهما. ببطء، فتح عينيه ليجد الصورة بين يديه مرة أخرى، وكأنها تعكس جوهر كل سنواتهما المشتركة. كسر صمته بصوت مشوب بالشوق: ذكرين ذلك اليوم؟»

تلاقت عينا حواء المملوءتين بالدموع بنظراته، حيث لم تكن دموعها مجرد تعبير عن الحزن، بل كانت تجسد حبًا عميقًا يتحدى

مفهوم الزمن. تحدثت بصوت خافت، يحمل في طياته ثقل ذكرى لن تموت أبدًا: بحزن ممزوج بالأمل والحنين: .

ابتسم أبو حازم ابتسامة خفيفة، ثم قبّل يديها بحنان، وكأن تلك اليد هي كل ما يحتاجه ليشعر بالأمان. همس بصوت مليء بالمشاعر: «إنها حواء، أجمل أيام حياتي.» كانت كلماته بسيطة، لكنها تحمل عمق السنوات التي عاشاها معًا، من تحديات تخطياها، وحب نما مع كل يوم يمر.

أصبحت الصورة الآن أكثر من مجرد ذكرى من الماضي؛ إنها نافذة تفتح على عالم آخر، عالم تعيش فيه الذكريات والأحلام جنبًا إلى جنب. نظر أبو حازم إلى حواء وكأنه يراها للمرة الأولى، وكأن قلبه بدأ ينبض بحبها من جديد. في عينيها، اكتشف الفتاة الشابة التي أحبها منذ البداية، والمرأة التي كانت إلى جانبه في كل مراحل الحياة. «حواء، هل تذكرين هذا اليوم؟» سأل، وصوته مليء بالشوق.

ابتسمت حواء، وكانت ابتسامتها تعبر عن حب خالد وتاريخ مشترك لا يمكن نسيانه. قالت بصوت دافئ مليء بالمعاني: «آدم، أذكره كل يوم.» لم تكن تلك الصورة مجرد صورة عادية، بل كانت رمزًا لحبهما الذي استمر على مر السنين، وشهادة على حياتهما المشتركة، بكل لحظاتها من فرح وحزن، وكل خطوة خاضاها معًا يدًا بيد.

في تلك اللحظة، كانت قلوبهما تتواصل بلغة لا يفهمها سواهما، لغة مشبعة بحب عميق لا يحتاج إلى كلمات للتعبير عنه.

تمدد تحت الأغطية الرقيقة، وكان جسده يسعى للحصول على لحظات نوم قصيرة، لكن بقايا التعب كانت تثقل جفنيه. في هدوء الغرفة الكئيب، تسلل الظلام، مماثلاً للظلال التي ملأت قلبه—غطاء ثقيل من الحزن والاضطراب. جالت عيناه، اللتان لم تغمضا، في أرجاء الغرفة الباهتة، كأنهما تبحثان عن شيء ما بين الأشكال الغامضة التي أخفاها الليل. وهناك، في سكون المكان، استقرت نظرته عليها—المرأة التي بجانبه. كانت جالسة على حافة السرير، وشكلها يروي قصة تعب عميق، وعيناها فارغتان، تنظران إلى الفراغ بعينين غارقتين في التعب الناتج عن العمل المستمر.

كان الصمت بينهما مليئًا بالكلمات غير المنطوقة، حيث كان هناك فهم عميق بينهما لا يسعى أي منهما لكسره. بدا وكأن قلوبهما تخفق معًا، كل نبضة تحمل ثقل الحب والخوف والأعباء المشتركة التي عاشاها سويًا.

عندما جاء، كان صوته ضعيفًا، وكأنه خرج من بئر عميقة من التعب. همس قائلاً: «بطانية أخرى»، وكأن كلماته كانت هشة، كما لو كان يسعى لتخفيف عبء روحه.

ثم نظرت إليه، وعيناها مشبعتان بالحنان، وكأنها تقرأ عمق معاناته وتفهمه دون الحاجة إلى الكلمات. بصوت مليء بالدفء الذي لا يمكن أن يقدمه سوى شخص مثلها، قالت: «نم يا آدم، نم. كل شيء سيكون على ما يرام.»

كانت كلماتها بسيطة لكنها عميقة، تملأ الأجواء كأغنية مهدئة. لم يكن هناك ما يُقال أكثر من ذلك، فوجودها وحده كان كافيًا لتهدئة العاصفة التي تعصف بداخله. اقتربت منه برفق، وأغمضت عينيه بحنان ينبض بسنوات من الحياة المشتركة، ثم استقرت بجانبه، حيث اندمج شكلها مع سكون الليل. في تلك اللحظة، كانت جميع وعود الأمان والحب مكتوبة ليس بالكلمات، بل بتبادل الراحة بينهما.

بعد لحظة، أشار بإصبعه المتجمد نحو مكان ما خلفه، وهمس مرة أخرى بصوت خشن وضعيف نتيجة الإرهاق: «بطّانية.»

نظرت إليه، تتبعت ملامح وجهه—تلك التجاعيد العميقة، شحوب بشرته، والخيوط البيضاء التي تزين شعره، والتي تروي قصة مرور الزمن. كانت عيناه مفتوحتين، تتأملان الظلام الكثيف الذي لا يمكن اختراقه، وتعكسان لمحة خافتة من الألم. لم ترَ فيه فقط الرجل الذي كان في شبابه، بل الرحالة المتعب الذي يحمل أعباء السنوات على كتفيه.

تنهدت وقامت دون أن تنطق بكلمة، ثم أحضرت له بطانية أخرى. كان هذا الفعل البسيط تعبيرًا عن كل ما لا تستطيع الكلمات أن تعبر عنه. وعندما عادت، وجدته مدفونًا تحت الغطاء الجديد، ورأسه مخبأ، كأنه يحاول الهروب من العالم ومن زحف الحياة المستمر.

في تلك اللحظة، كان كطفل صغير يبحث عن دفء حلم في ظلام الليل البارد، متمنيًا الراحة وسط دوامة الأرق التي تعصف بعقله. نظرت إليه، وقلبها مثقل بحب صمد طويلاً، وفي وجهه رأت ليس فقط الرجل الذي حملها في شبابها، بل روحًا تائهة، مثقلة بتعقيدات الزمن.

عاد صوته ليصل إليها مرة أخرى—همسة، كأنه يكافح ضعف جسده. «بطانية أخرى»، تنهد، ليس فقط طلبًا للدفء، بل بحثًا عن راحة من الثقل غير المرئي الذي يثقل كاهله. كانت كلماته تحمل أكثر من مجرد حاجة جسدية؛ كانت صرخة صامتة لرجل يتوق إلى السلام في عالم لا يتوقف عن المطالبة.

ابتسمت، وكان ابتسامها يحمل في طياته حزنًا وحنانًا في آن واحد. ثم أجابته بصوت ناعم ومطمئن: «نم يا حبيبي، نم. سأبقى هنا لأحرس نومك.»

كان وعدها وعدًا صامتًا لا يحتاج إلى تأكيد. في تلك اللحظة، أصبحت وجودها الأمل الذي تمسك به قلبه، وفي ذراعيها وجد الملاذ الآمن الذي يبحث عنه، هاربًا من زحف الزمن المستمر. ساد الهدوء في الغرفة، وتدفقت المشاعر بينهما كطوفان غير منطوق—مد من الحب والراحة والفهم المتبادل.

في تلك اللحظات، وعلى الرغم من بساطتها، كانت هناك قوة—قوة دائمة—لا تستطيع الحياة انتزاعها.

القسم الثالث

بداية النهاية

كانت الغرفة عبارة عن حجرة صامتة وقاسية، تشبه القبر إلى حد بعيد، حيث كانت الظلال تتجول كهمسات منسية في ظلام دامس. لم يكن هناك سوى شاشتين كبيرتين تضيئان الخراب، تتوهجان كعيون غريبة لا تغمض، تراقبان كل حركة وتسجلان كل تنهدة للرجل الذي يرقد تحتهما. كانت الجدران العارية والمجردة تقف كشهود صامتين على السنوات التي مضت، وقد زالت طبقة الطلاء منها منذ زمن بعيد، تاركة وراءها فقط ذكرى مرور الزمن القاسي. كل زاوية وكل شق مهمل كان يبدو كأنه يهمس بوزن الزمن ذاته، يئن تحت عبء السكون الذي يملأ الهواء، خانقًا أي أثر للأمل. كان كل شيء في ذلك المكان ساكنًا، خاليًا من الروح، لم تلمسه الحياة. كانت الومضات الخافتة التي تنبعث من الشاشتين هي الوحيدة التي تحمل أي مظهر من مظاهر الحركة، تلقي ضوءًا باهتًا على وجه زوجي حازم الشاحب، كما لو أن تلك الومضات تسرق آخر لحظات النور من حياته.

على سرير متهالك، كان أبو حازم يرقد كظل لنفسه، جسد نحيل محبوس في لحم أصبح عاجزًا عن الاستجابة للعالم من حوله. كانت يداه مقيدتين، ليس فقط بالحديد، بل أيضًا بهشاشة جسده، مما جعله عاجزًا عن الدفاع عن نفسه. كان يحاول مقاومة القيود غير المرئية والظلام الخانق الذي استحوذ عليه، لكن كل حركة كانت تزداد صعوبة، وكل لحظة كانت تثقل روحه أكثر.

كان الهواء في الغرفة كثيفًا ورطبًا وثابتًا، وكأن الزمن قد توقف هنا، وتوقفت معه جميع تدفقاته وحركته. الصوت الوحيد الذي تجرأ على كسر هذا السكون الخانق كان همس آلة التنفس الاصطناعي، بنبضاتها المنتظمة التي تضخ الهواء في رئتيه، أنفاس ميكانيكية حلت محل أنفاسه الطبيعية. كان هذا الصوت، الوحيد في رتابته، هو الشيء الذي يخترق الصمت، كأنه نبض قلب عالم قد توقف عن الحركة.

كانت الشاشتان تتلألأان بخفوت في الظلال، تلقيان ضوءًا شبحيًا على وجهه، مما يبرز التجاعيد العميقة التي حفرتها سنوات من الألم والمعاناة على بشرته. حاول أن يحرك يده ليمسح آثار التعب عن وجهه، لكن وكأن يده لم تعد تابعة له. تحركت يده ببطء، وكأنها مثقلة بثقل الأرض تحتها، غير قادرة على الإحساس أو الاستجابة، وكأن جسده بدأ ينفصل عن روحه.

كانت الغرفة، كصندوق مغلق، تحتوي على أسرارها ومعاناتها الخاصة، التي لا يعرفها أحد سواه. كانت الجدران، الفارغة والصامتة، تنتظر قصة لن تُكتب عليها. وعلى السرير، كان أبو حازم يرقد ككائن ضائع في بحر من الألم، يبحث عن مرسى لن يأتي أبدًا. بدا وكأن كل شيء من حوله قد توقف عن الوجود، ما عدا الألم، والظلام، والصمت القاسي. وفي ذلك الصمت، ظل وحيدًا، صامدًا..

انهار جسده المنهك كما لو أنه ذاب أمام عينيها، مثل شمعة أطفأتها الرياح القاسية. وفي صمت يأسه، تمتم بكلمات تكاد تُسمع، وكأن الهواء نفسه قد يطحنها: «أنا ضعيف... حقًا أنا ضعيف!» كانت نظراتها، التي تشبه نجومًا خافتة في سماء ليل بلا حدود، تلاحقه بحذر، وكأنها تسعى لفهم عمق معاناته، والاضطراب الصامت الذي كان يختبئ داخل روحه المتعبة. كانت تتفحص كل خط في وجهه، وكل ارتعاشة في كيانه، تسأل نفسها: «كيف لهذا الرجل، الذي كان يومًا رمزًا للقوة وتجسيدًا للعزيمة، أن يصبح هكذا؟ محطمـًا، مهدمًا، مطويًا تحت وطأة السنوات.»

بذلت جهدها بكل ما أوتيت من قوة لتنهض من مكانها، لتفعل شيئًا، أي شيء من أجله، لكن كل ما استطاعت فعله هو مد يدها المرتعشة نحو جسده الضعيف، وكأنها تهمس في أعماقه: «أنا هنا

معك، في هذا الظلام... لن تكون وحدك.» كان صوته، الذي بالكاد ارتفع عن الهمس، يحمل عبء الحزن غير المعلن، نغمة غارقة في ألم عميق قديم: «القوة من الله... نحن جميعًا ضعفاء هنا.» وكأنهم في تلك اللحظة المشتركة، قد تبادلوا سرًا، حقيقة عميقة تتجاوز معاناتهم—سرًا عن هشاشة الإنسان التي تربطهم جميعًا، حقيقة لا يمكن حتى للأقوياء الهروب منها.

كان جسده النحيل ممددًا على السرير، وعظامه بارزة تحت جلده الشاحب، وكأنها تروي قصة صراع طويل مع الزمن. عيناه، الغائرتان كحفرتين في صحراء قاحلة، بدتا وكأنهما فقدتا القدرة على رؤية الأمل. همس مرة أخرى، وصوته مكسور ومتقطع، كما كانت رئتيه تكافحان من أجل الحصول على الهواء: «أنا ضعيف... حقًا أنا ضعيف.» أما هي، التي كانت جالسة بجانبه كروح هائمة، فقد سُلبت قوتها من قبل السنوات التي أضعفت روحها، ومدت يدها لتلامس جبينه الساخن. لم تستطع مقاومة الشعور بالعجز الذي اجتاحها، ففي تلك اللحظة، انهارت هي أيضًا، كما لو كانت شجرة عتيقة تحمل ثقل الزمن ولم تعد قادرة على الإثمار. قلبها، ذلك الوعاء الهش، أنين تحت وطأة هذا الفقد الذي لا يُحتمل، والدموع تساقطت كأوراق الخريف المتناثرة بفعل الرياح القاسية.

غمرت الغرفة سكينة ثقيلة، ابتلعتها أنفاسهما، ولم يتبق سوى صوت تنفسه المتلاحق الذي ملأ المكان كمدّ بطيء، مهددًا بغمر

كل ما تبقى. الرجل الذي كان يومًا صخرة عائلته، قويًا وصلبًا، أصبح الآن يتأرجح على حافة النسيان. «أنا ضعيف... حقًا أنا ضعيف»، همس مرة أخرى، وكل كلمة كانت صرخة صامتة تتردد في أرجاء الغرفة، كما لو أن الجدران نفسها لم تعد قادرة على احتواء الحزن.

كانت تراقبه، وعيناها مليئتان بالدموع، وكأنها تشهد انقضاء روحه أمامها. وكأن السنوات التي قضياها معًا—حبهم، كفاحهم، انتصاراتهم المشتركة—كانت تتساقط كما تتساقط الأوراق في مهب الريح، تختفي وتتلاشى في الهواء. كان عبء الزمن يثقل كاهلهما معًا.

ثم، بصوتٍ هشٍ ممزقٍ بين الأمل واليأس، همست مرةً أخرى: «القوة من الله... نحن جميعًا ضعفاء هنا.» لم تكن كلماتها مجرد عزاء، بل كانت بمثابة صيحة معركة، محاولةً لتهدئة العاصفة الداخلية، ولتخفيف الأمواج العاتية من الحزن التي كانت تهدد بإغراقهما معًا. في تلك اللحظة، لم تكن هناك كلمات قادرة على التعبير عن عظمة ما كانا يواجهانه، ولا لغة تستطيع احتواء ثقل معركتهما المشتركة.

على الرغم من العبء الثقيل الذي كان يثقل كاهلهما معًا، ورغم المعاناة التي أضعفتهما، كانت تدرك أن هذه الهشاشة

ليست نهاية قصتهما. كانت جزءًا من إنسانيتهما المشتركة— ضعف يمكن تقبله، لا كخسارة، بل كأصدق أنواع القوة. ستبقى بجانبه، ثابتة إلى جانبه، خلال الظلام وفي خضم العواصف. مهما كانت التحديات التي ستواجههما، سيتجاوزانها معًا.

في غرفةٍ يغمرها ضوء خافت، كأنه آخر همسات النهار، ويستقر فيها صمتٌ ثقيل، يحيط الهواء بسكونٍ يبدو أزليًا، يرقد أبو حازم على سريره. جسده، الذي يجمع بين الاسترخاء والقلق، يبتلعه الهدوء الكثيف، كأنما هو سفينة تائهة في بحرٍ غير مستكشف. نظرته ثابتة نحو السقف، حيث تتناثر التشققات في الجص الأبيض، التي حفرتها السنوات العديدة، لتشكل متاهة من الذكريات التي لا مفر له منها. تتبع عينيه هذه الشقوق، بحثًا عن شيء، أي شيء، وراء حدودها. همسة تخرج من شفتيه، خافتة لدرجة يمكن أن تُخطأ على أنها زفرة: «لا أستطيع النهوض.»

في تلك اللحظة، بدا وكأن حتى جدران الغرفة قد اعترفت بيأسها. دخلت أم حازم بخطوات هادئة ومدروسة، خفيفة كأنها تخشى إزعاج توازن معاناته. كانت تحمل في يديها كوبًا من الشاي الدافئ، بخاره يتصاعد كالوعد العابر بالراحة. اقتربت منه ببطء، وكأنها تسير على حافة عالم هش، ثم جلست على حافة السرير، وضعت الكوب برفق على الطاولة الصغيرة بجانبه. عيناها،

المشبعتان بالشفقة، التقتا بعينيه—وجودها كان بلسمًا، رغم أنها كانت أيضًا مثقلة بثقل اللحظة. «ما بك، حبيبي؟ لماذا لا تستطيع النهوض؟» سألته، وصوتها همسة تبحث عن الشفاء.

يميل أبو حازم برأسه إلى الوراء، وتبدأ عيناه في التحليق مجددًا نحو السقف، وكأن هناك، في الفضاء اللامتناهي من الشقوق، يكمن الجواب على عذابه الصامت. تمتد لحظة طويلة من السكون بينهما، قبل أن تتساقط كلماته كالحجارة في الهواء الكثيف: «أنتِ، أمي.»

تتساقط كلمات أم حازم كالصاعقة، فتتجمد في مكانها، ويغمر قلبها شعورٌ ثقيل كما لو أن اعترافه قد سقط على روحها. تتسع عيناها، مفعمة بالدهشة، ثم، بصوتٍ مرتجف، تسأله لتفهم أكثر: «أنا؟ كيف حدث ذلك؟»

يغلق أبو حازم عينيه، وكأنه يسعى لاستجماع بعض القوة ليواصل حديثه، وكلماته تتناثر على شفتيه كأنها شظايا هشة: «أنتِ السبب في كل ما هو جميل في حياتي، وفي كل ألم أشعر به. أنتِ كالسماوات التي أطمح للوصول إليها، وأنا—كالطائر، دائمًا أسعى للوصول إليك، لكنني دائمًا ما أفشل.»

تعود الغرفة إلى هدوء ثقيل، مشحونة بتوتر الحقائق غير المعلنة. مرة أخرى، يهمس: لا يستطيع النهوض.خرج نداء لرجل

مقيد بسلاسل غير مرئية. تسأله: «ماذا تعني؟ هل تشعر بالتعب؟ء بالقلق، تبحث في عينيه عن أي إشارة، أي شرارة من الرجل الذي كان عليه سابقًا. يهز رأسه ببطء، ثم يتحدث بحزن عميق، كما لو أن روحه قد أرهقها ثقل أفكاره: «لا أستطيع النهوض من هذا السرير. لا أستطيع مواجهة العالم. لا أستطيع أن أكون الرجل الذي كنت عليه.»

تستمع إليه في صمت، وقلبها يتألم مع كل كلمة ينطق بها. «لماذا تشعر هكذا؟» تسأله بصوت هادئ، محاولة فك رموز العاصفة التي تعصف به. ينظر إليها بنظرة عميقة، وكأنها الوحيدة التي تحمل مفتاح فهم معاناته. «لأنني أراك ضعيفة، وأنا لا أستطيع أن أكون قويًا من أجلك.»

أم حازم، التي تتجلى فيها مشاعر الحب والقلق، ترد بحنان لا يمكن وصفه: «أنا لست ضعيفة، بل أنا قوية بوجودك إلى جانبي.» ثم تضغط على يده بقوة تعبر عن حب أعمق من الكلمات. ثقل بالحزن، وكأن نسيج وجوده يتفكك أمام عينيها.

يشعر أبو حازم وكأنه محاصر في قفص من الألم والندم، لا يستطيع الهروب منه. كل محاولة للنهوض تواجه بقوة غير مرئية تضغط على صدره، كما لو أن حجرًا ضخمًا قد استقر هناك، معطلًا حركته. يلوم نفسه على كل شيء، بما في ذلك المعاناة

التي كانت جزءًا من حياتهم. أما أم حازم، فهي عالقة بين الأمل واليأس، تسعى جاهدة لإيجاد وسيلة للوصول إليه، لكنها تجد صعوبة في اختراق الجدار الذي بناه حول نفسه. أمامها صورة ابنها الذي كانت تعرفه—رجل مليء بالحياة والوعود. ومع مراقبتها له الآن، تكرر في نفسها: اية.

«جلست على حافة السرير، وعيناها تتبعان خيوط الضوء الخافتة التي كانت تكافح لاختراق النافذة المغلقة. كان الضوء ضعيفًا وهزيلاً، وكأنه يعكس حال قلبها في تلك اللحظة - صدى لشيء كان يومًا ما مشرقًا، ثم بدأ يذبل. غمرها الظلام، كثيفًا كأنه كائن ملموس، يضغط عليها ويحثها على التمسك بأي بصيص أمل قد يظهر. بدا ثقل الزمن، القاسي واللا رحيم، وكأنه توقف - كل لحظة تتراجع كما لو كانت مياه تتدفق عكس التيار. وفي هذا الهواء الراكد، همست بصوتها، الهش كهمسات الرياح البعيدة، قائلة: «القوي يصبح ضعيفًا في هذا العالم، يا حازم.» بدت كلماتها وكأنها ترتجف في الهواء، كما لو كانت تعترف بحقيقة أدركتها للتو، تلك الحقيقة التي كانت قد تجنبتها طويلاً.

أبو حازم، مستلقيًا على ظهره في برودة الغرفة، كان يحدق في السقف بتعبٍ عميق، وكأن كل كلمة تخرج من فمه تستنزف منه شيئًا أكثر، كما لو أن روحه قد جفت. كانت كلماتها، منخفضة

وكأنها محمولة على أنفاس عاصفة، تمر عبره، تاركةً ظلالًا لأشياء لا يستطيع مواجهتها أو الهروب منها. قال بصوت خشن، تكاد كلماته تختنق تحت ثقل السنين: «كانت البداية منك، والنهاية بسببك.» سقطت كلماته بينهما كالحجارة التي ألقيت في سكون الليل، دون جواب، مما زاد من عمق الفراغ بينهما.

تزايد الصمت بينهما، ثقيلاً، كأن الهواء نفسه يتوقف عن التنفس في انتظار ما سيحدث. ثم، فجأة، انفجرت أم حازم في البكاء، وكأنها لم تعد قادرة على كبح الحزن الذي يثقل قلبها. لتكون قويًا، لتفادي الوحدة التي ابتلعتني.» كانت كلماتها تتداعى، وكأنها تعيد بناء تاريخها في تلك اللحظة، والندم يتسرب بين كل حرف وآخر.

أبو حازم، الذي كان يشعر بثقل الأيام على قلبه، توقف لحظة. ثم، بصوت خافت، كأنه يسأل سؤالًا لم يجد له إجابة طوال حياته، قال: «أين هم؟» كانت كلماته هادئة، لكنها تحمل في طياتها فراغًا عميقًا، عالقًا بينهما – سؤال مفتوح يطارده في كل لحظة من يقظته.

أجابت أم حازم، التي كانت تراقب الحزن في عينيه، بصوت يملؤه اليأس، وكأن كلماتها تنبع من أعماق ألم عميق: «هم نائمون، مثلنا.» كانت تلك الإجابة كجُرس موت لكل أمل قد اشتعل في قلوبهم، نهاية لحلم، لمستقبل أصبح الآن بعيدًا كأن النجوم نفسها لا يمكن الوصول إليها.

أمسك أبو حازم، الذي بدا وكأن جسده قد تحول إلى وعاء فارغ، يديها بقوة، وكأنه يبحث عن شيء - أي شيء - يمكن أن يعيده إلى الحياة، ولو للحظة. «لكنهم أقوياءقالها متمسكًا ببصيص أمل، كأنه يتحدث إلى نفسه أكثر من حديثه إليها. كان أملًا ضعيفًا، لكنه الأمل الوحيد المتبقي، يتأرجح كلهب خافت في وجه الظلام الدامس.

في عمق عينيها، كانت ترى كل شيء: الصعود والهبوط، الأفراح والأحزان، وكل اللحظات التي شكلت حياتها. بدا لها مسار حياتها كدائرة لا تنتهي، حيث كل خطوة تقود إلى جرح جديد. همست لنفسها: «القوي يصبح ضعيفًا في هذا العالم»، وكأن الحقيقة أصبحت شيئًا يجب أن تتقبله. لم تكن تلك مجرد عبارة، بل كانت استسلامًا، تسليمًا لظلم القدر الذي لا يرحم.

أبو حازم، الذي كان يستمع إليها في صمت، شعر بثقل العالم يثقل كاهله. استرجع ذكريات شبابه، تلك الأيام التي كانت مليئة بالقوة والأمل والوعود الثمينة. ابتسم ابتسامة مريرة، مفعمة بالذكريات والندم. «كانت البداية منك» همس بها، وكأن تلك الكلمات تحمل توجيهًا للوم، أو ربما كانت اعترافًا صامتًا بخطأ ما، كما لو كان يلوم نفسه على عدم فهم كل شيء في تلك اللحظة. كانت الحقيقة، ربما، التي لا تزال لا تُحتمل حتى الآن.

رأت الحزن في عينيه، ومع الرقة النابعة من معاناة مشتركة، حاولت أن تخفف عنه. «أنجبت لك أولادًا لتكون قويًا»، قالت برقة، وكأن كلماتها كانت اعترافًا بخطيئة لم تُفصح عنها. كانت تلك الكلمات بمثابة توسّل – صامت، لكنه لا يُخطئ – ليصدّق أنها، حتى في أعماق الحزن، هناك شيء يستحق التمسك به.

«أين هم الآن؟» سأل أبو حازم مرة أخرى، بصوت يرتجف. كان سؤاله يحمل ثقل حياة كاملة، بحثًا عن معنى في وسط الفراغ الذي استولى عليهما.

نائمون أجابت مرة أخرى بصوت هادئ لكنه حاسم. كانت كلماتها تعبيرًا عن استسلام صامت، واعترافًا بأن المعركة قد انتهت – ليس مع القدر، بل مع الزمن نفسه.

أبو حازم، الذي بدا أن قلبه قد خلى تمامًا، نظر إلى السقف وسأل بصوت يكاد يُسمع: «هل تكمن القوة الحقيقية في العدد؟ أم أنها في روح لا تعرف الموت؟» كان هذا السؤال ينهش قلبه منذ زمن طويل – لغز محاط بالحزن والشك، في رحلة بحث عن معنى يظل بعيد المنال. كانت كلماته أكثر من مجرد تساؤل؛ كانت اعترافًا بمعاناته الداخلية، محاولة أخيرة لمواجهة حقيقة لم يرغب في كشفها. لكن في تلك الكلمات، كان هناك لمحة ضئيلة

من الأمل: أنه ربما، حتى في أعماق الفشل، تكمن في تلك اللحظة بذور جديدة للنجاح، وقوة جديدة تولد..

«أين ذهبت الثروة التي كانت تعيننا؟» صاحت أم حازم بصوتٍ مثقل بالحزن، كأنها تتحدث عن روحٍ غادرت، تاركةً وراءها فراغًا لا يمكن لأي يدٍ أن تملأه. «ألم تكن تلك الثروة هي التي منحتنا القوة في الأيام الخوالي، وجعلتنا نواجه صعوبات الحياة بشجاعة؟ كانت أملنا في مستقبلٍ أفضل، والآن... الآن هي ضاعت، تتسرب من أيدينا كما لو كانت رمالاً. أين هي الآن؟»

أجابها أبو حازم بصوتٍ يعتصره الحزن، وكل كلمة تنبض بجرحٍ عميق: «لقد وقعت في أيديهم، ويعتقدون أن ذلك سيمنحهم القوة. لكنني أشك في ذلك. القوة التي يسعون إليها لا تأتي من المال أو المظاهر. لا، بل تنبع من الحكمة، ومن إرادة الصمود، ومن القوة الهادئة للنفس.»

أم حازم، التي كانت تحدق في عينيه حيث تجمعت ظلال الحزن، أومأت برأسها ببطء، وكأن كيانها يغرق تحت وطأة كلماته. «أنت محق صوتٍ مشبع بالحزن. «لقد كنا نملك تلك الثروة يومًا ما. كانت الأمل في قلوبنا، القوة التي دفعتنا للأمام، الأساس الذي بنيت عليه كل معتقداتنا. ولكن الآن... نحن أضعف من أي وقت مضى، كما لو أن تلك الثروة قد استنزفت قوتنا، تاركةً إياها خاوية،

خالية من الطاقة لمتابعة الأحلام التي كانت تبدو في يوم من الأيام مضمونة.»

نظر أبو حازم إليها في صمت، وعيناه تعكسان عمق فهمه لمعاناة مشتركة بينهما. ثم تحدث بصوتٍ مشوبٍ بالشك: «أين ذهبت الجذور التي كانت تغذي شجرتنا العائلية؟» كانت كلماته كهمسات حملتها الرياح الباردة، هشة وغير مؤكدة. «ألم تكن تلك الجذور هي التي تحمينا، وتظلنا من عواصف الحياة، وتمنحنا مأوى ضد ضرباتها القاسية؟»

أجابت أم حازم، التي شعرت بثقل سؤاله يستقر في أعماق روحها، بصوتٍ خافت يكاد يُسمع، كما لو كانت تتحدث عن شجرة ذابلة بلا مستقبل: «لقد قُطِعَت وزُرِعت في مكانٍ آخر، وكأنهم يعتقدون أنها ستنمو هناك كما كانت. لكنني أشك في ذلك. تلك الجذور التي كانت تربطنا ببعضنا البعض قد أُهملت، وتُركت في مكانٍ بعيدٍ عنا.»

«أنت محق على تلك الطمأنينة التي كانت تربطنا.»

في خضم الصمت الثقيل الذي خيم على منزلهم، تجرأت أم حازم على طرح السؤال الذي كان يؤرق قلبها منذ زمن بعيد، سؤالٌ ظل مدفونـًا في أعماقها. «أين ذهبت تلك الأمانة التي أوكلها إليك والدك؟» تساءلت في نفسها، وعيونها تتلألأ بالدموع. «ألم

تشعر بثقل المسؤولية تجاهنا؟ ألم تدرك أن كل قرار تتخذه له تبعات على حياتنا جميعـًا؟»

أجابها أبو حازم من أعماق قلبه، وكأن كلماته تنبعث من عمق مشاعره المثقلة بالندم: بشكل صحيح. كنت أظن أنني أعمل على حمايتهم من صعوبات الحياة، وأقيهم من أي تهديد قد يواجهنا. لكن الآن... الآن أدركت خطأي. كنت مشغولاً بالبحث عن حلول سريعة دون أن أستشرف العواقب. لم أكن أرى الصورة كاملة.»

كانت تلك اللحظة، اللحظة القاسية من الإدراك، هي اللحظة التي يجب أن يمر بها الجميع في نهاية المطاف. إنها اللحظة التي تتكشف فيها الحقيقة، حين يواجه الإنسان نتائج أفعاله ويتساءل إن كان قد ضاع في زحام الحياة. ومع ذلك، حتى في خضم هذا الألم، يبقى هناك شعاع من الأمل. ففي أعمق ظلمات الحياة، لا تزال هناك فرصة للتجديد – فرصة للتصحيح، ولإعادة بناء ما تم تمزيقه.

الحياة لا تمنحنا دائمًا إجابات واضحة. لكن في كل لحظة صمت، وفي كل دمعة تسقط، هناك دعوة للتفكير وإعادة التوجيه، للبحث عن الطريق الصحيح من جديد. فالأمل لا يموت أبدًا، بل ينبعث من أعماق الألم، ليظهر كطائر الفينيق، ويمنحنا القوة للاستمرار في الكفاح، مهما كانت التحديات.

«في أعماق الظلام الكثيف، الذي بدا وكأنه سيمتد إلى الأبد، همس أبو حازم باسم جاره القديم، بصوت يرتجف كما لو كان يحاول الإمساك بذكرى عزيزة على قلبه من ماضٍ قد ولى. «أبو سارة»، نطق بها بصوت خافت، بالكاد كان يُسمع، هشًا كشمعة تتراقص على وشك الانطفاء، تنشر ضوءًا شاحبًا في المكان بينما تقاوم الظلال التي تهدد بابتلاعها تمامًا. كانت تلك اللحظة مليئة بالحنين، وكأن الزمن نفسه قد توقف للحظة، حاملاً إياه إلى أيام كانت فيها الحياة تسير بهدوء وثقة، حيث كان كل أمل في متناول اليد، وكل حلم نابض بالحياة.

لكن أم حازم، التي كانت تجلس في الزاوية تراقب كل كلمة وكل حركة، ردت بصوت خافت يحمل قوة غير مرئية، قائلة: «لا». كانت هذه الكلمة الوحيدة تحمل ثقل الحماية، وكأنها تطلب منه أن يتجنب آلام الذكريات التي قد تمزق قلبه وتستنزف روحه. كان صوتها هادئًا ومصممًا، كأنه يعبّر عن فهم عميق: أن الانغماس في تلك الذكريات قد يجلب له المزيد من الألم بدلاً من العزاء، وقد يحطم ما تبقى له من سلام.

ومع ذلك، لم يتمكن أبو حازم من كبح جماح الشوق الذي كان يعتمل في قلبه. كانت روحه، المرتبطة بتلك الأيام البسيطة، بتلك البراءة التي كانت الحياة تحملها، تدفعه للعودة مرة أخرى. فحاول

مجددًا، لكن صوته كان يحمل عزيمة مهزوزة، «أبو أحمد؟» ذلك الاسم، آه، كان يحمل مفتاح كل ما مضى، إلى الأيام التي كانت مليئة بالوعد والقوة، كزهرة لم تمسها يد الزمن. لكن أم حازم، التي أدركت مدى خطورة هذه الذكريات على قلبه المتعب، قاطعته بصوت حاد وحاسم، كطعنة سكين. «لا... ألف لا.» كانت الحتمية في نبرتها جدارًا من صمت معاناتها، جدارًا يهدف إلى إبعاده عن خراب الماضي.

في تلك اللحظة المعلقة، شعر أبو حازم بهزة عميقة في أعماق نفسه. كان صراع داخلي يحتدم في قلبه، حيث تتصارع قوتان: سحب الماضي البسيط والطاهر، والزحف اللامتناهي للزمن، لتحديد من سيهيمن. كان يعلم، كما لو كانت همسة في روحه، أن الماضي قد انتهى، وانتهى بالفعل. ومع ذلك، لم يستطع أن يحرر نفسه منه. كيف يمكنه ذلك، والماضي يحمل في طياته أقرب شيء إلى القوة، إلى الصحبة، إلى الحياة التي عاشوها قبل أن يضغط عليهم ثقل العالم ليجعلهم يركعون؟

راقبت أم حازم ابنها بنظرة حادة، وكأنها تدرك طبيعة صراعه الداخلي أكثر مما يدركه هو نفسه. لقد لاحظت أن شوقه إلى الماضي قد أصبح عبئًا يثقل كاهله، كأنه شبح لا يريد أن يتركه. وهكذا، تحدثت مرة أخرى، ليس بغضب، بل بصوت يحمل سلطة

ناعمة، من شخص عاش طويلاً ليكتسب الكثير من الحكمة. لقد عاشت بما يكفي لتفهم أن التمسك بالماضي يعني البقاء محاصرًا في ظلاله، عالقًا في لحظة لن تعود أبدًا.

أدرك أبو حازم، بتلك القوة الهادئة للإدراك التي أحاطت به ككفن، أن الماضي - بغض النظر عن كيف كان يتلألأ في ذاكرته - قد انتهى. لا يمكن إحياؤه، ولا ينبغي أن يُعاد إلى الحياة. المستقبل، وهو الشيء الوحيد القابل للإمساك به، كان أمامه ينتظره كبحر واسع من الإمكانيات. أما الحاضر، تلك اللحظة الهشة بين الماضي والمستقبل، فكانت المجال الوحيد الذي يمكنه العيش فيه حقًا.

أم حازم، التي كانت تراقب التحول الهادئ على وجهه، سمحت لنفسها بابتسامة قصيرة. لم تكن تلك الابتسامة تعبيرًا عن النصر، بل كانت تجسيدًا للفهم. كانت تدرك تمامًا ثقل تلك الذكريات، لكنها كانت تعرف أيضًا أن الحماية الحقيقية لا تكمن في حمايته من ماضيه، بل في تشجيعه على النظر إلى الأمام، نحو الحياة التي لا تزال تنتظرهما. حياة يمكنهما إعادة بنائها، حيث يمكن للأمل أن يتجذر من جديد، وحيث يمكن للمستقبل أن يكون بين أيديهما ليشكلاه كما يرغبان.

في الهدوء الذي تلا تلك اللحظة، نشأ بينهما فهم جديد. لم تكن تلك اللحظة، ذلك الاكتشاف الهادئ، نهاية، بل كانت بداية. بداية

لحياة جديدة، يمكن أن تُبنى من تحديات اليوم وآمال الغد. ففي هذا العالم البارد والمظلم، كان هناك دائمًا طريق للمضي قدمًا. كان للماضي مكانه، لكنه لم يعد قادرًا على السيطرة على حياتهم. ليس بعد الآن.

بهذا الوعي العميق للحقيقة التحررية، أدرك أبو حازم أنه ليس أسيرًا لماضيه، ولا عاجزًا أمام مستقبله. كان حرًا في التقدم نحو الأمام، في استعادة ما فقده، وفي بناء الحياة التي كان دائمًا من حقه أن يعيشها.

لأن المستقبل، في نهاية المطاف، لا ينتظر أحدًا. إنه يحتاج إلى أن يُصاغ، أن يُعاش، وأن يُحتضن. وفقط أولئك الذين يحررون أنفسهم من قيود الماضي هم القادرون حقًا على التقدم نحو المستقبل.

«جلس أبو حازم بجوار نافذة غرفته البسيطة، وعيناه تتابعان خيوط الشمس الذهبية التي اخترقت الزجاج المغبر. كانت نظراته مثقلة بحزن يمتد عبر سنوات عمره. همس بصوت خافت: ضي وثقل حياة عاشها بجدية وتأمل عميق.

إلى جانبه جلست أم حازم، ويدها مطويتان برقة وصبر، تعكسان سنوات من التحمل الهادئ. «لقد أخبرتك من قبل»، قالت بنبرة ناعمة وكأنها تخاطب طفلاً ضعيفًا، «قم إذا استطعت.»

ومع ذلك، كانت كلماتها، رغم لطفها، تحمل في طياتها فهمًا حزينًا لعبثية ما تحاول دفعه للقيام به، فقد كانت تدرك تمامًا أن أعباء العمر والذاكرة أثقل من أي ضعف جسدي.

«الحياة... الحياة ذاتها»، همس أبو حازم، وصوته يرتجف كأنفاس الريح التي تمر عبر غابة قاحلة. كانت عيناه تبحثان في أعماقه عن ذكرى بعيدة طمستها غبار الزمن. وكان صوتها متردداً، يحمل شجاعة خجولة لمن يسعى إلى نور في عالم مظلم.

«حياة أخرى»، أجاب أخيرًا، وكان جوابه البسيط كمرساة وشراع في آن واحد، وكأنه الوحيد القادر على الإبحار في محيط لا نهائي من الحيرة.

«وأين تكمن هذه الحياة؟» سألت، وعيناها تتلألآن بدموع لم تنهمر. لم يكن سؤالها عن الأمور الغيبية، بل كان استغاثة بالأمل، أو على الأقل بظله.

«هل انتهت الحياة حقًا؟» تساءل أبو حازم في صمت، وكان السؤال يتردد في ذهنه كمدّ يزحف على شاطئ بعيد. «أم أنه مجرد فصل طويل في قصة لم تنتهِ بعد؟» التفت لينظر في عينيها، ويدها تحتضن يده بحنان، كأن دفء يديها هو الشعلة الوحيدة التي قد تهديه إلى طريق النجاة.

«انهض»، كررت أم حازم، لكن صوتها هذه المرة كان يحمل نبرة من اليأس الخافت، وكأنها تدرك أن الحياة أحيانًا تكون صعبة على النهوض.

«أين تكمن الحياة؟» سألها مرة أخرى، وكأن صدى كلماته كان يطرق فراغ الكون كناقوس بعيد، صوته يتردد لكنه بلا إجابة.

«ربما»، بدأت بصوت هادئ، كنسيم البحر الذي يلامس الشاطئ، في اللحظات التي عشناها معًا - في الضحكات التي حملتها الرياح، وفي الأحزان التي تسللت إلى قلوبنا كقطرات المطر. قد لا تكون الحياة في المستقبل، بل في كل ما شاركناه سابقًا.»

«تدور الشمس ببطء»، قال أبو حازم، وعيناه تتابعان القرص الناري وهو يختفي خلف الأفق. «وكأنها تودعنا»، أضاف، وصوته ينسجم مع همسات النسيم التي تداعب الستائر برفق، وكأنها يد مترددة ترفع الستار عن مشهد النهاية.

توسلت أم حازم مرة أخرى، وكان صوتها هذه المرة يحمل نداءً للزمن أن يتوقف، وكأن كلماتها وحدها قادرة على مواجهة زحف الوقت.

«الحياة رحلة طويلة»، قال أبو حازم، وصوته يحمل نبرة بحار

يروي قصة إبحاره وسط أمواج متلاطمة. «وماذا بعد هذه الرحلة؟» تساءلت أم حازم، وكأنها تغوص معه في أعماق الذكريات.

«السلام»، ردّ بصوت هادئ، وهو يغمض عينيه ببطء، كأنه قد وجد في نهاية رحلته ما كان يبحث عنه: طمأنينة تتسع لها السماء، ووداع هادئ يليق بنهاية القصة.

«الحياة»، همس أبو حازم، وكأن هذه الكلمة تحمل في طياتها سرًا عميقًا، صدى بعيدًا من أعماق روحه التي لا تُدرك. جالت عيناه في الغرفة المظلمة، ليس بلا هدف، بل كمن يبحث عن خيط من نور، أو همسة من ذكرى ضائعة في ثنايا الزمن. كان الصمت في الداخل ثقيلاً، خانقًا، يكاد يضيق الأنفاس، حتى كسره طرق خفيف على الباب. كان الصوت ناعمًا لكنه غامض، يحمل معه وعدًا مستترًا في غموضه.

«هل تسمعينه؟» سأل بصوت خافت، وكأنه يخشى أن تكون الإجابة أكثر صمتًا من سؤاله. «لا أسمع شيئًا»، أجابت أم حازم بنبرة باردة كصقيع ليلة شتاء، لكن في أعماقها كانت هناك قوة خفية وصبر هادئ صقله سنوات طويلة من الانتظار.

«صوتي يتلاشى»، قال أبو حازم، وكلماته مشبعة بالحزن، وعيناه تغمضان كما لو كان يحاول الإمساك بآخر خيوط الوعي المتناثرة. «تحدث بعينيك»، اقترحت أم حازم بصوت هادئ يحمل حنانًا

صامتًا، وكأنها تناشده أن يتبنى لغة تتجاوز الكلمات، حيث يمكن للصمت أن يحمل أعباء الحزن المشترك.

«صوتي ذهب»، كرر، وكلماته تتلاشى كالدخان في فضاء صباح موحش. «ليس بالأمر المهم»، أجابت أم حازم بنبرة هادئة واثقة، وكأنها تقول: «لقد تعلمنا منذ زمن أن نجعل الصمت رفيقًا لنا.»

رفع أبو حازم نظره ببطء، وكأن ثقل قلبه يتحول إلى سؤال يعتصر روحه: «هل هذا كل ما تبقى مني؟ مجرد صوت خافت... همسات بالكاد تُسمع؟» وفي الصمت الذي أحاط به، لم يتبقَ سوى دقات قلبه المتسارعة، ترافقه في رحلة من الشكوك: «هل هذا الصوت حقيقي؟ أم أنه مجرد وهم ينسجه عقلي المرهق؟

جلست أم حازم في هدوء تام، وكأنها تمثال نُحت من سنوات من الصبر والتحمل. لكن عينيها لم تكونا فارغتين؛ بل كانتا مليئتين بأفكار غير مُعبر عنها، ومشاعر أعمق من أن تُحاط بها الكلمات.

«الغرفة مظلمة كالقبر»، قال أبو حازم فجأة، وصوته يرتجف بالحزن وهو يحاول النهوض من فراشه، خطواته مثقلة بعبء السنين. «هناك صوت... خافت كهمس الرياح»، أضاف، وكأنه يتحدث عن الطبيعة وهي تودعه بهمستها الهادئة.

«لا أسمع شيئًا»، أجابت أم حازم، لكن صوتها لم يكن مجرد كلمات؛ بل كان صدى لتعب الأيام وصبرها الطويل. «صوتي

يضيع في هذا الصمت»، قال أبو حازم، وكأنه يتصارع مع مصيره في لحظة وعي عميقة. «أحيانًا يكون الصمت أجمل»، ردت أم حازم، وكلماتها كانت لينة لكنها حازمة، وكأنها تقدم له حكمة اكتسبتها من تقبلها للأقدار.

لكن الغرفة لم تظل مظلمة. تسلل ضوء خافت من نافذة صغيرة، نوره ضعيف لكنه ثابت، ليكون شهادة على شعلة الأمل المستمرة. التفت أبو حازم إلى أم حازم، وقال بصوت أقل حزنًا: «ربما يكون الصمت ليس نهاية... بل بداية لشيء جديد.»

ابتسمت أم حازم ابتسامة خفيفة، تحمل في طياتها مزيجًا من الحنان والتعب، وقالت: «الحياة ليست مجرد صخب أو كلمات؛ بل هي شعور عميق، أن تجد معناها حتى في لحظات الصمت.»

في ذلك السكون، اكتشف أبو حازم وأم حازم لغة جديدة، لغة لا تتطلب صوتًا، بل تحتاج إلى فهم عميق يتجاوز حدود الكلمات.

« في عمق غرفة مظلمة، حيث يتسلل ضوء خافت من نافذة ضيقة ليخلق ظلالًا كثيفة، جلس أبو حازم العجوز، رجل أنهكته السنين وانحنى تحت وطأة الزمن. كانت عيناه مغمضتين، وكأنه يحاول الإمساك بما تبقى من عالم يتلاشى بين يديه. همس بصوت بالكاد يتجاوز صمت الغرفة: «لم أعد أراكِ... أين أنتِ؟» كانت

هذه الكلمات غير موجهة لأي أذن، بل ربما كانت صدى لغياب يثقل صدره.

اقتربت منه، والتفتت أم حازم نحوه بنظرة مليئة بالحنان، حنان نبع من سنوات من الحب والتضحية. كان وجهها يعكس آثار الصبر والأمل، محفورًا بتفاصيل الزمن، ولكن دون أن يطغى عليه اليأس. ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت بصوت رقيق كنسيم الصباح: «أنا هنا أمامك، يا زوجي. لم أذهب إلى أي مكان.»

فتح أبو حازم عينيه ببطء، وكأنه يتردد في مواجهة الحقيقة. انعكس الضوء الخافت في نظرته المرهقة بينما حاول أن يجمع شتات حياة أصبحت غامضة. لكنه سرعان ما أغلق عينيه مرة أخرى، وصوته يحمل مرارة العجز: «ذهب بصري بعد سمعي. الحواس تتخلى عني واحدة تلو الأخرى. أخبريني، أين أنا الآن؟»

اقتربت أم حازم وجلست بجانبه، عازمة على إبقائه متصلاً بهذا العالم. مدت يدها برفق وأمسكت بيده المرتجفة، وسألته: «أين ذهبت، يا زوجي؟»

تسللت ابتسامة خافتة إلى شفتيه، وأجاب بصوت بدا وكأنه يأتي من مكان بعيد: «لقد فقدت إحساسي يا زوجي، كل شيء من حولي أصبح بلا روح... لا ألوان، لا أصوات، لا حياة.»

لكن أم حازم، التي كانت تعرف أعماق روح زوجها أكثر من أي شخص آخر، لم تدعه يغرق في بحر الحزن. أمسكت بيده وقالت بصوت مليء باليقين: أه.»

رفع أبو حازم رأسه نفيًا، وكأنه ينكر هذا الواقع المؤلم. ثم قال بنبرة يائسة: «كل شيء قد تغير، حتى أنتِ... أشعر وكأن الزمن قد تخلى عني، وكأنني عالق بين ماضٍ لا يعود ومستقبل لا أستطيع رؤيته.»

ابتسمت أم حازم ابتسامة دافئة، وأضافت إليها عزيمة جديدة، كأنها شعاع من النور يخترق ظلام الليل. قالت: ه الحياة دائمًا بصبر وشجاعة. قوتك لا تزال موجودة في داخلك.»

تأمل أبو حازم في كلماتها للحظة، وعمّ الصمت بينهما كجسر يعلو هوة عميقة. ثم أغمض عينيه مرة أخرى، وقد أثقلته مشاعر التعب، وقال بصوت ضعيف: نهارت كل قواي، يا زوجي. أشعر أن هذا هو الاختبار الأخير.»

وضعت أم حازم يدها الأخرى على قلبه، وكأنها تسعى لإعادة نبض الحياة إليه من جديد، ثم قالت بحزم: هذه فرصة لاستعادة قوتنا، وتذكيرًا بأننا ما زلنا أحياء، وما زال لدينا هدف نسعى لتحقيقه.»

رفع أبو حازم نظره إليها، وكأنه يبحث عن عمق كلماتها، وسأل بصوت متردد: «لكن القوة دائمًا تتبعها ضعف... أليس كذلك؟ هكذا تسير الحياة، أليس كذلك؟»

أم حازم أمالت نظرها نحو النافذة الصغيرة، حيث بدأ الضوء يتزايد سطوعًا تدريجيًا. همست وكأنها تخاطب السماء: «نعم يا زوجي، هكذا تسير الحياة. لكن في كل ضعف توجد بذور القوة، وفي كل نهاية يكمن وعد ببداية جديدة.»

ثم نظرت إليه مرة أخرى بابتسامة تحمل في طياتها معاني عميقة، كأنها منارة تنير دربه في ظلمات الحياة، وقالت: «الحياة ليست في قدرتنا على تجنب الألم، بل في شجاعتنا لتجاوزه، وفي قدرتنا على اكتشاف المعنى حتى في أصعب اللحظات.»

عندما نطقت بكلماتها، شعر أبو حازم بشيء يتحرك في أعماقه— شرارة خفيفة لكنها حقيقية. لم تعد الغرفة مظلمة كما كانت، ولم يعد الصمت مخيفًا. كان هناك نور يتسلل، ليس فقط من النافذة، بل من داخلهما، نور أضاء حياة لم تنتهِ بعد.

«قوتك ذهبت بولدك حازم»، تشير أم حازم إلى مصدر ضعفه.

«هل يعطيني حازم من قوته؟»، يسأل أبو حازم بلهفة.

«طبعـًا لا يعطيك»، تجيبه أم حازم بصوت قاطع.

«لماذا... وأنا احتاجها اليوم؟»، يقول أبو حازم بحسرة.

«هل أعطيت والدك القوة... وأنت قوي؟»، تسأله أم حازم، وكأنها تسعى لإيقاظ جزء من إرادته المفقودة.

أبو حازم: «لا.»

أم حازم: «إذن المعاملة بالمثل.»

أبو حازم: «نعم.»

أم حازم: «إذن تحمل ضعفك.»

في لحظة من الصمت العميق، حيث تسللت الظلمة إلى كل زاوية وضغط السكون على الأجواء، انكسر الهدوء بخطوات ثقيلة، بطيئة ومتعمدة. كانت كل خطوة تنذر بقدوم شيء غير مسبوق، شيء يتجاوز حدود التوقعات العادية. قبل أن نجد وقتًا لتبادل كلمات الاستفهام، اقتحم المكان ظل طويل ومهيب، كان شكله شبه شبح، كما لو كان قد تجسد من أعماق لوحة قديمة غارقة في الغموض. كان شعره متشابكًا وغير مرتب، يشبه عش طائر دُفع به الرياح، وعيناه تتلألآن بضوء غريب ومزعج، يشبه لمعان النجوم التي تومض في سماء عاصفة.

كان يرتدي بذلة حمراء زاهية، تشبه لهب النار في فرن مشتعلة، مما أثار فينا مزيجًا من الرهبة والانزعاج، وكأن هذا اللون نفسه

كان نذيرًا بكارثة أو مفتاحًا لكشف لغز عظيم. في يده اليمنى، كان يحمل كتابًا غريبًا، غلافه مهدم وغامض، وكأنه يحتوي على أسرار الكون بأسره. بقوة، أغلق الباب خلفه، كأنه يسعى لقطع أي صلة بالعالم الخارجي، تاركًا إياهم محاصرين في عالم مجهول ومهيب.

كانت حركاته مدروسة بدقة، وكأنها حركات قطة تتسلل بخفة ورشاقة. كان طويلاً ونحيفًا، لكن حضوره كان يملأ الغرفة بأكملها. شعره الأسود الكثيف كان يغطي جبهته العريضة، مما أضفى مزيدًا من الغموض على ملامحه. أما عيناه، فكانتا تحملان بريقًا ساحرًا ومخيفًا في آن واحد، كأنهما تخترقان أرواح من يلتقي بهما، باحثتين عن أسرارهم الدفينة.

مرّت نظرته بسرعة على أرجاء الغرفة، وكأنه يقوم بتقييم كل زاوية وكل شخص فيها. ثم، بحركة شبه صامتة، أغلق الباب خلفه، وكأنه يحبس سرًا لا يريد لأحد أن يهرب منه. في لحظة، ألقى المفتاح تحت الباب، في حركة مدروسة تشير إلى أننا أصبحنا الآن في قبضته، وأن العودة لم تعد خيارًا متاحًا.

لم يكن دخوله مجرد دخول عادي؛ بل كان كأن السكون في الغرفة قد انفجر فجأة، حيث اندفعت طاقة مفاجئة أزالت كل شعور بالهدوء. كانت بذلته الحمراء تتأجج بنار داخلية، والنظرة في عينيه، الحارقة والمكثفة، كانت تحمل وعودًا وأسرارًا، مزيجًا غريبًا من

التحذير والدعوة. الكتاب الذي كان يحمله، والذي تمسك به بقوة كما لو كان أغلى كنز، بدا كأنه مفتاح لعالم مجهول، عالم يعرفه هو وحده.

وقف في وسط الغرفة للحظة، صامتًا، كما لو كان يزننا ويقيم أرواحنا ويقيس الخوف الذي يسكننا. كل حركة، كل نظرة، وكل نفس كان يتنفسه كان يروي قصة أكبر منا، قصة تتكشف في تلك اللحظة، ونحن جزء منها. في تلك اللحظة، أدركنا أننا لم نعد مجرد مشاهدين في هذه الدراما، بل كنا على وشك أن نصبح لاعبين. وهو، الكائن الغامض ذو الظل الطويل والكتاب المليء بالأسرار، كان سيد هذه الرواية الخفية التي بدأت تتكشف تدريجيًا.

غمر الغرفة صمت رهيب، صمت عميق لدرجة أنه بدا وكأن الزمن قد توقف عن السير. كل ما كان موجودًا في تلك اللحظة هو السكون الذي ملأ كل زاوية من الغرفة، سكون ثقيل يضغط على الروح. كان أبو حازم ممددًا على سريره، وعيناه تتجولان في الظلام، محاولتين التمييز بين الكائن الذي ظهر أمامه وكأنه شبح خرج من أعماق الليل. في لحظة، اختفت زوجته أم حازم، وكأنها ذابت في الهواء، تاركة خلفها فراغًا غريبًا وصمتًا عميقًا جعل الغرفة تبدو وكأنها تتألم تحت وطأة غموضها.

بخطوات هادئة ومدروسة، تقدم أبو نهاية وكأن كل حركة يقوم بها تقطع خيوط الزمن. وعندما تحدث، كان صوته همسة

خافتة، ناعمة كهمسات الرياح في ليلة عاصفة: «أنا أبو نهاية... هل تعرفني؟»

ارتعش صوت أبو حازم وهو يجيب، وكانت كل كلمة تخرج منه كأنها صراع: «لماذا أغلقتم الباب؟ ولماذا رميتم المفتاح؟ كيف يمكننا الخروج من هذا المكان؟ كيف أستطيع رؤية أولادي؟»

ابتسم أبو نهاية ابتسامة خفيفة، تحمل في طياتها غموضًا ورعبًا، وكانت عينيه تتألقان بشدة وكأنهما تتغذيان على خوف أبو حازم. «لأن...» قال بصوت بارد كالقبر، «لم يعد هناك مفر من هذه الغرفة من الآن فصاعدًا.»

تطاولت اللحظات حتى باتت وكأنها أبدية، وازداد الصمت ثقلاً مع كل ثانية تمر. تحولت الغرفة، التي كانت مألوفة، إلى هاوية من الظلام. تنفس أبو حازم بسرعة، وعيناه لا تفارقان الغريب الذي أمامه، وكأنهما تسعيان لحل لغز وجوده.

«أنا أبو نهاية...» قال الغريب مرة أخرى، بصوت خافت وغير واثق، كأنه عالق بين الكلمات والأفكار. «هل تعرفني؟»

ظل أبو حازم صامتًا، وكأن السؤال قد مر بجانبه دون أن يجد إجابة، كما لو أنه لم يسمعه أو لم يعره انتباهه. كانت أفكاره مشغولة تمامًا بالباب المغلق، والمفتاح الملقى، وألم الأسئلة التي تظل بلا إجابة.

«لماذا أغلقتم الباب؟» سأل بصوت يملؤه الألم. «كيف يمكننا الخروج من هذا المكان؟»

تجلى على وجه أبو نهاية ابتسامة غامضة ومليئة بالمرارة، بينما كانت عينيه مثبتتين على أبو حازم وكأنه يحاول استكشاف أعماق روحه. «لا مفر هنا، يا صديقي. لا مفر.»

تعمق الظلام في الغرفة، وكأن العالم الذي خلف الجدران قد ابتلعته الظلال. جلس أبو حازم بلا حراك، عينيه مثبتتين على الغريب أمامه، الذي كانت عيناه تحملان أسرارًا عميقة تفوق الفهم. بدا وكأن تلك اللحظة بلا نهاية، وكأن الزمن قد تحول إلى ذكرى بعيدة.

«أنا أبو نهاية...» همس الغريب، وكأنه يستعيد آخر كلمات قصيدة حزينة. «هل تعرفني؟»

كانت شفتا أبو حازم مشدودتين، ولسانه ملتصقًا بسقف فمه، وعقله يدور في دوامة من الأسئلة التي لا تجد إجابة. مع كل نظرة إلى الغريب، كانت الأسئلة تتزايد: لماذا الآن؟ ولماذا هنا؟ ما معنى هذه اللحظة؟

«لماذا أغلقتم الباب؟» صرخ أبو حازم بصوت خافت، كأن صرخته ضاعت في سكون المكان. «كيف يمكننا الخروج من هذا القبر؟»

ضحك أبو نهاية ضحكة خافتة، مشبعة بالكآبة، وكأنه كان يسخر من معاناة أبو حازم. «هذا ليس قبرًا، يا صديقي. بل هو نهايتك.»

في تلك اللحظة، أصبح الزمن بلا قيمة. وجد أبو حازم نفسه غارقًا في بحر من اليأس والعجز. أدرك أن هذه هي النهاية، الفصل الأخير، ولا مجال للعودة بعده. لم يكن لديه أدنى فكرة عن كيفية استئناف الزمن حركته بعد هذه اللحظة، أو إن كان سيعود على الإطلاق.

وقف أبو حازم في تأمل صامت، عينيه مثبتتين على الرجل الغريب أمامه، كما لو أن نظرته قد صادفت واقعًا غريبًا ومحيرًا بحيث بدا وكأن عينيه تتسعان وكأنهما تشهدان شيئًا للمرة الأولى. ما هذا؟ هل هو حلم؟ أم أن الواقع نفسه قد تحول إلى كابوس لا مفر منه؟ كان عقله يركض بالأسئلة، أفكاره تغزوها الحيرة، ومع ذلك تحدث بصوت خافت، وكأن الكلمات كانت همسات لنفسه أكثر منها موجهة للرجل أمامه: «لا خروج؟ كيف؟»

رفع رأسه، عينيه لا تفارقان الشكل الذي كان يقف أمامه—ليس مجرد رجل، بل كائن ذو هيبة، ملفوف بالغموض، ظل من ظلام المجهول. صوته، الذي كان مترددًا في البداية، ازداد قوة، كما لو أن الشك تحول إلى إحباط، وكأنه يطالب بالحقيقة: «من أنت لتحكم عليّ هكذا؟» كانت كلماته مثل مطرقة، تضرب في قلب اللغز الذي يحيط به، يائسًا من فتح الأجوبة التي كانت تفلت منه.

ابتسم الغريب، ابتسامة باردة ومنفصلة، كما لو أنها ولدت من زاوية عميقة قاسية في نفسه. كانت ابتسامة تسخر من المعاناة التي أمامه، تستغل ضعف خصمه. كان صوته هادئًا، لكن كلماته سقطت على الهواء مثل الرعد، بلا رحمة ونهائية: «نعم، لا خروج أبداً. أبداً.» كان وزن هذه الكلمات يضغط بشدة على روح أبو حازم، يخنقها، ويحول كل لحظة تمر إلى كابوس أعمق وأكثر رعبًا.

ترددت صدى الكلمات في ذهن أبو حازم، كما لو كانت ضربات طبول متواصلة، وكل تكرار لها يخترق نسيج واقعه. حاول أن يتحمل ثقلها، لكن كان الحمل أكبر من أن يتحمله. نظر إلى عيني الرجل، ورأى فيهما فراغًا يبعث على القشعريرة—نظرة لا تحمل أملًا، ولا فكاكًا، فقط مصير لا مفر منه. وفي لحظة يأس، انفجر بصراخ خشن، كما لو أن صوته هو الأمل الوحيد المتبقي له: «أريد أن أرى أولادي!» لكن صوته ابتلعته الفراغات، وكأن صراخه لا يحمل أي قيمة في هذا الواقع القاتم.

انثنت شفاه الرجل ابتسامة ساخرة، كما لو أن آلام أبو حازم كانت مصدرًا للمتعة لديه. رد بصوته البارد، لكن كلماته كانت مثل الصقيع الذي يتسلل إلى صدر أبو حازم: «قلت لك، لن تراهم بعد هذا اليوم.» كانت تلك الكلمات بمثابة حكم نهائي لمصير مُغلق.

بدا أن الأرض ترتجف تحت قدميه، وكان العالم من حوله غريبًا، غير مألوف، وغير حقيقي.

بصوت مكتوم باليأس، همس أبو حازم: «فلتراهم إذن أم حازم.» كان دعاؤه مجرد صدى ضعيف، محاولة يائسة للتمسك بشيء إنساني في هذا الموقف الجهنمي. لكن الرجل لم يُبدِ أي حركة أو رد فعل. بدلاً من ذلك، ضحك ضحكة خافتة، تكاد لا تُسمع، ثم قال بصوت جهوري، وكأن الكلمات تدوي كالبرق: «أنا أبو نهاية... هل تعرف من أنا؟»

تدفقت الأسئلة في ذهن أبو حازم، كل واحدة أكثر إلحاحًا من الأخرى، لكنه شعر بشيء غير مرئي، شيء ضخم، يثبّته في مكانه، يعجزه عن التحرك أو الهروب. حاول أن يفكر، أن يبرر، لكنه شعر وكأن الزمن قد تجمد، وكأنه محاصر في لحظة واحدة من القدر الذي لا مفر منه. وفي النهاية، كل ما استطاع أن يقوله بصوت خافت، كان أبسط الحقائق: «أنا أبو حازم.»

كانت الغرفة مظلمة، بالكاد يوجد ضوء سوى شعاع ضعيف يتسلل من شق في النافذة ليكشف عن الغبار المتراكم على الأثاث، كما لو أن الزمن نفسه قد استقر هنا، مثقلًا المكان بغموضه الثقيل. كل شيء من حوله بدا وكأن له رمزًا لألمه. وعندما سمع صوت الرجل العميق يصدح في السكون، عاد السؤال يتردد في عقله،

يلازمه كظل: «من أنت؟ وما هو مصيرك؟» لكن الإجابة كانت واحدة، ثابتة، باردة ونهائية كصقيع الشتاء: «نعم، لا خروج أبداً. أبداً.»

بصوت خشن، كأنه ناتج عن قسوة رياح الحياة واليأس، تحدث أبو نهاية بنبرة حاسمة ارتد صداها في الهواء الهادئ: «أنت لست أبو حازم هنا، يا صديقي! هذا الاسم ليس سوى علامة فارغة، أُلقيت خلف باب هذه الغرفة المغلقة. هنا، أنت مجرد ظل يتراقص على جدران هذا القبر، تبحث عن معنى في كل زاوية، محاصر في مكانك - بلا أمل، بلا مفر.»

أبو حازم، بصوت خافت كهمسات روح مجروحة، كافح لفهم ثقل الكلمات: «ماذا تعني؟ هل تعني أنني لستُ كما أعتقد أنني؟ هل هذا هو جوهر الحقيقة؟»

بعيون حادة كالشفرات، نظر أبو نهاية إلى عينيه وأجاب: «أنت الآن مجرد أسير. أسير لهذه الجدران الأربعة التي تقيد روحك. أنت محاصر في ظلام لا نهاية له، وكلما حاولت الهروب، غصت أعمق في هاوية الشك.»

أبو حازم، وهو يتأمل في الظلام الدامس الذي يحيط به، شعر بأن عينيه تتسعان كما لو كان يبحث عن حقيقة خفية في هذا اللغز

الغامض. كان عقله يغلي بالأفكار، والأسئلة تتوالى واحدة تلو الأخرى. «هل هو صوت من داخلي؟ أم أن هناك شيئًا يتحدث من الخارج؟ هل أنا حقًا في مكان ما، أم أنني مجرد حلم داخل حلم؟ هل فقدت عقلي، أم أنني عالق في كابوس لا مفر منه؟»

أبو نهاية، بصوت هادئ كمن يسرد قصة فقدت فيها الأمل، قال: كأنه بئر عميق. كلما حاولت أن ترتفع، تجد نفسك تسقط مجددًا إلى الأسفل. هكذا هو حالك الآن، وكلما حلمت بالخروج، زادت قوة السلاسل التي تقيدك.»

ثم، بحكمة من خاض غمار الحياة الصعبة، تحدث أبو نهاية مرة أخرى، وكأن كلماته تزرع بذور الحقيقة في قلب أبو حازم: دود آخر. هذا هو مصيرنا جميعًا. أنت الآن في أحد هذه الطرق المسدودة.»

همس أبو نهاية بصوت رقيق، كأنه يتحدث إلى روح ضائعة تائهة في بحر من التساؤلات: «أنت لست أبو حازم هنا. الاسم الذي تحمله ليس سوى قناع -قناع سقط عن وجهك. أنت مجرد وجود مكشوف أمام أعين ما يتجاوز الفهم البشري.»

أبو حازم، بصوتٍ يرتجف من الخوف، سأل: «من يراقبني؟ هل هذا هو الحق، أم أنني ألاحق سرابًا؟»

أشار أبو نهاية بإصبعه نحو السماء المظلمة قائلاً: «هو يعلم. هو من يحرك الخيوط من خلف الستار. هو الذي يمتلك المفاتيح، وهو من يحدد أين يبدأ كل شيء وأين ينتهي.»

أجاب أبو حازم، وهو يضحك ضحكة مريرة تعكس اليأس والارتباك: «أنت تخيفني. هل أنا في حلم؟ هل أنا عالق في كابوس بلا نهاية؟ هل هذا هو مصيري؟»

هز أبو نهاية رأسه، ثم ابتسم ابتسامة غامضة، وكأنه يحمل في جعبته أسرارًا أكثر مما يبدو: «الحياة، يا صديقي، تشبه كابوسًا. وكلنا نسعى للاستيقاظ منه. لكن يبقى السؤال: هل نعرف كيف نفعل ذلك؟»

أبو حازم، وهو يتكئ على الجدار البارد القاسي، وعيناه تفتقران إلى الحياة، شعر باليأس يحيط بقلبه: «فمتى سأستيقظ؟ ومتى سأتمكن من الهروب من هذا السجن؟»

أقبل أبو نهاية نحو الشخص ببطء، ثم همس في أذنه بصوت يحمل عبق الحكمة القديمة: في هذه الحياة كما يبدو، وعندما تفهم أن كل شيء هو مجرد اختبار، عليك أن تتجاوز الظلام لتكتشف النور.»

تسللت هذه الكلمات إلى روح أبو حازم كأنها مفتاح لحقيقة ضائعة منذ زمن بعيد. كان قلبه يرتجف، وعقله يسابق الزمن في

محاولة لفهم المعنى العميق لما قيل. لكن وسط الهمسات، وبين الحقيقة المليئة بالألم، كان هناك شعاع من النور -شعاع أمل بدأ يظهر في الأفق.

في أعماق الظلام الدامس الذي يملأ الغرفة، كان أنين أبو حازم يتردد وكأن كل نبضة من قلبه تعكس ثقل الظلام الذي يحيط به. كان الهواء مشبعًا بشعورٍ ثقيل، كأنه يحمل آلاف الحكايات عن المعاناة والشك. كان الجو خانقًا، مختنقًا في جوهره. وفي وسط هذا السكون الرهيب، كان الصوت الوحيد الذي انبعث من شفتيه المرتجفتين من الخوف هو سؤال نطق به من أعماق كينونته: «ما هذا الظلام؟ ما الذي يحدث هنا؟»

أجاب أبو نهاية، وهو جالس في الظل وعيناه مغمورتان في الغموض، بصوت بارد كحرارة المكان المحيط بهم: «هذه هي طبيعة هذا المكان. هنا، لا توجد سوى حقيقة واحدة، وفي ظلمة الليل يبرز النور.»

لكن هذه الكلمات لم تهدئ من روع أبو حازم. بل زاد خوفه، وبدأ قلبه يخفق بسرعة، وكل نبضة كانت تذكره بالضغط الخانق الذي يحيط به. كان العرق يتصبب من جبينه، وأصبح شعور الاختناق أكثر حدة مع مرور الوقت. اشتد اليأس في قلبه، وفجأة، بكل ما أوتي من قوة، صرخ قائلاً: «هذا أسوأ من السجن! لا أستطيع التنفس هنا! لم أعد أحتمل أكثر!»

في خضم هذا التوتر الشديد، ابتسم أبو نهاية ابتسامة غامضة، وكأنها تحمل في طياتها ثقل ألف سر غير مُعلن. كانت ابتسامته رقيقة، لكنها مشبعة بمعانٍ عميقة. ثم اخترق صوته الصمت قائلاً: «لا، يا أبو حازم، هذا ليس سجنًا. بل هو نهاية البداية.»

كل كلمة نطقت بها كانت كالمطرقة التي تضرب قلب أبو حازم، تترك أثرها العميق في روحه. كانت المعركة الداخلية تشتد، وهو يسعى جاهدًا لفهم ما يجري. لكنه كان محاصرًا بشبكة من الأسئلة، وكل سؤال يزداد تعقيدًا. ثم، وكأنما خرج من بين الظلال، أخرج أبو نهاية كتابًا قديمًا، بدا وكأن الزمن قد توقف عنده. بتأمل عميق في صفحات الكتاب، قال بصوت منخفض لكنه حازم: «في هذا الكتاب، تم تسجيل كل ما فعلته. كل خطوة، كل قرار، كل لحظة. كل شيء هنا.»

شعر أبو حازم بصدمة كبيرة كأن العالم قد انهار من حوله. كانت الحيرة والدهشة تسيطران عليه وهو يتأمل الكتاب، بينما كانت أسئلة تتلاطم في عقله. «لماذا أنا؟ لماذا تم اختياري لهذا؟»

نظر أبو نهاية إلى عينيه، وكأن نظراته قادرة على اختراق كل حجاب من الشك واليقين. «لأنك تستحق أن تعرف الحقيقة، يا أبو حازم. لقد بلغت نقطة اللاعودة. وعندما تواجه هذه الحقيقة، ستتمكن من تجاوز الظلام الذي يحيط بك.»

ثم، بنبرة تحمل حكمة العصور، تابع أبو نهاية قائلاً: «ما تعيشه الآن هو فرصة حقيقية للتغيير. الظلام الذي يحيط بك ليس سوى تمهيد لبداية جديدة. الحيرة التي تشعر بها هي الخطوة الأولى نحو فهم أعمق لذاتك، وللمعنى الحقيقي لوجودك. الحياة لا تُعاش إلا عندما تواجه الظلام وتكتشف النور في أعماقه.»

توقف لحظة، وكأنه يريد أن يترك لثقل كلماته أثرًا عميقًا فيه. ثم أصبح صوته أكثر جدية: زمان، يعتمد على كيفية تعاملك مع هذه الحقيقة. في البداية، قد تبدو مخيفة، لكن من خلال هذا الخوف نفسه ستكتشف القوة التي ستمكنك من تجاوز ما كان يبدو مستحيلاً. هذا الكتاب ليس نهاية، بل هو بداية جديدة في مسار حياتك.»

في تلك اللحظة التي بدأ فيها وجه الزمن يتغير، شعر أبو حازم بشعور غريب يتسلل إلى أعماقه، وكأنه يقف على حافة عالم غير معروف. كان المجهول يناديه بتردد غامض، مزيج من الرهبة والدهشة يتغلغل في روحه. ومع ذلك، وسط سحب القلق الكثيفة، ظهر بصيص من الأمل—مثل أولى أشعة الشمس التي تخترق سماء العاصفة.

«لكل بداية نهاية، ولكل نهاية بداية جديدة...» جاء صوت أبو نهاية هادئًا، كهمسة أثيرية تنبعث من أعماق الوجود. لكن صدى

هذه الكلمات لامس أعماق كيان أبو حازم، وكأنها تبحث عن حقيقة خفية في أعماق روحه.

للحظة قصيرة، ارتعشت أطرافه وسرت قشعريرة في جسده. «يا إلهي، ما الذي يحدث هنا؟» تمتم، بينما كانت نظراته تتنقل بين الرجل الغامض أمامه وذكريات الماضي التي بدأت تتكشف، وكأنها همسات من ظلال منسية.

أخرج أبو نهاية كتابًا قديمًا، كان غلافه البالي يحمل آثار الزمن الذي طواه النسيان. فتحه بحذر، كأنه يتعامل مع أسرار الكون. ثم سأل بصوت هادئ، لكنه كان مثقلاً بغموض الكلمات غير المعلنة:

لم يجد أبو حازم سوى أن يومئ برأسه، وعيناه تتأملان وجه الرجل وكأنهما تحاولان فك لغز شخص يبدو وكأنه يقرأ صفحات خفية من حياته. قال الرجل: عندما بلغت فيه الثالثة عشرة. أليس كذلك؟»

مرّت قشعريرة من التعرف عبر جسد أبو حازم، وكأن تيار الزمن بدأ يعيده إلى الوراء أمام عينيه. أغمض عينيه للحظة، تاركًا سيل ذكريات الطفولة يغمره. «كيف عرفت كل هذا؟» همس، وصوته يرتجف تحت وطأة الدهشة.

ابتسم أبو نهاية ابتسامة تعكس فهمـًا عميقـًا، وأشار إلى الكتاب قائلاً: «كل شيء مكتوب هنا—اختياراتك، أسرارك، وحتى تلك اللحظات العابرة التي اعتقدت أنها تلاشت في الفضاء.»

«ولماذا تبدأ من تلك اللحظة تحديدًا؟ لماذا الثالثة عشرة؟» سأل أبو حازم، بينما كانت دهشته تتزايد مع مرور كل ثانية.

«لأن القدر اختار أن تكون البداية من هناك»، أجاب أبو نهاية بنبرة غامضة، مما أضفى عمقًا على سر الموقف.

تزايدت الأسئلة في ذهن أبو حازم، وكل واحدة منها كانت أكثر إلحاحًا من سابقتها. سأل بصوت مليء بالتوتر، «من هو هذا الشخص الذي تتحدث عنه؟»

من يعرف كل شيء»، قالها أبو نهاية بابتسامة غامضة تحمل في طياتها مزيجًا من الراحة والرعب.

ثم، وكأنه يتلو حكمـًا كُتب منذ الأزل، قلب أبو نهاية صفحات الكتاب بعناية حتى توقف عند مقطع معين، وقرأ بصوت جهوري يحمل ثقل الحقيقة التي لا يمكن إنكارها: «في يوم من الأيام، دخلت منزل جارك فادي وسرقت منه مبلغًا من المال. أليس كذلك؟»

اتسعت عينا أبو حازم من شدة الصدمة، ولم يتمكن سوى من هز رأسه ببطء، بينما كان جسده متجمداً تحت وطأة شعور الذنب.

«لا يمكنك أن تخدع الحقيقة»، قالها أبو نهاية بنبرة حازمة، لكنها كانت خالية من القسوة.

في تلك اللحظة، شعر أبو حازم وكأن الأرض التي يقف عليها تهتز من تحته. تخيل نفسه يسير في نفق مظلم، حيث لا تُرى نهايته إلا من خلال ضوء خافت بعيد—صغير، لكنه ثابت في دعوته له لمواصلة الرحلة.

في تلك اللحظة الحرجة التي بدا فيها أن نسيج الواقع يتصدع، كشفت الأرض عن وجه لم يكن أحد يتوقعه. من أعماق الغرفة، خرجت أفعى ضخمة، يتلألأ رأسها بهالة نارية تشبه الجمر المتقد. تقدمت المخلوقة بحركة ملتوية، متعمدة، وكأن كل انحناءة في جسدها تحمل خبثًا غامضًا، تقترب شيئًا فشيئًا من أبو حازم، وكأنها تتسلل إلى أعماق روحه.

ارتجف جسد أبو حازم بارتعاشة لا إرادية، وحبست أنفاسه في حلقه، كأنه أسير تحت تأثير تعويذة غامضة. كانت عينا الأفعى، كموقدين متقدين بضوء غريب، تخترقان كيانه، كاشفتين أسرارًا حاول دفنها لسنوات طويلة.

«اهدأ... لا تخف»، قال أبو نهاية بصوت هادئ كنسيم الفجر، يخترق صمت الغرفة برفق وثبات.

«ما هذا المخلوق الذي أمامي؟» تلعثم أبو حازم، وعيناه مثبتتان على الأفعى التي أحاطت به وكأنها حلقة نارية من الحكمة.

«ليست كما تظن»، أجاب أبو نهاية بصوت يحمل في طياته حكمة وغموضًا. «هذه، يا صديقي، ليست سوى انعكاس لما تخفيه في أعماقك.»

تسارعت أنفاس أبو حازم، وبدت كل خلية في جسده وكأنها تصرخ تحت وطأة الذكريات التي بدأت تتكشف أمامه. وكأن حياته قد تحولت إلى شريط سينمائي يعيد عرض مشاهد كان يرغب في نسيانها.

«تذكّر، إذا أردت»، تابع أبو نهاية بصوت حاد لا يتزحزح، «تلك اللحظة التي أطلقت فيها نظراتك على ابنة الجيران، نظرات خجولة تخفيها، بينما كانت أفكارك غارقة في ما لم تجرؤ على الاعتراف به.»

عند سماعه لهذه الكلمات، شعر أبو حازم بأن قلبه توقف للحظة. نعم، تذكر تلك الأيام المليئة بالإغراء والعار، حيث كانت الأسرار تنهش قلبه كجرح لم يلتئم. اقتربت الأفعى منه أكثر، وكأنها تجسد طيف ذنوبه التي لم يعترف بها.

«ولماذا؟» تابع أبو نهاية حديثه، وصوته يحمل حزنًا يلامس أعماق الروح، «لماذا لم تمد يد العون لجارك عندما طلب

مساعدتك؟ أليس لأنك تحمل في قلبك ضغينة لأنه لم يزوجك ابنته؟»

انحنى أبو حازم برأسه، وكان صوته بالكاد يُسمع، مليئًا بالشعور بالذنب. ذا صحيح... لقد رفضت مساعدته بدافع الغضب.»

ثم، وكأن اعترافه أطلق شيئًا في باطن الأرض، اهتزت الأرض تحت قدميه. انشقت فجأة لتبتلع جزءًا من الغرفة في جوفها. ومن عمق الظلام، ظهرت أفعى أخرى، أكبر وأكثر رعبًا، برأس يشبه رأس الثور، وجسد يلمع كأنه البرق المجسد. كان منظرها كفيلًا بتجميد أبو حازم في مكانه، وعيناه اتسعتا من شدة الرعب.

«هذه الأفاعي»، قال أبو نهاية بصوت هادئ ومدروس، «ليست سوى تجسيد لخطاياك، يا أبا حازم. إنها لا تأتي لتؤذيك، بل لتذكّرك. كل واحدة منها تمثل خطيئة دفنتها، حقيقة حاولت الهروب منها. الخلاص يبدأ بالمواجهة، لا بالفرار.

في تلك اللحظة، بدا وكأن الزمن قد توقف. أصبح العالم ساكنًا، وكأنه ينتظر إجابة أبو حازم. على الرغم من ارتعاش يديه وتردد روحه، شعر بوميض من الشجاعة يتألق في داخله—نور خافت يتحدى ظلال الخوف.

كانت الأفاعي، على الرغم من رعبها، ليست مجرد نذير شؤم، بل كانت رسلًا تحمل فرصة للتجدد. وقف أبو حازم، وقلبه يخفق

بشدة، على أعتاب تحول عظيم. ففي بوتقة الخوف والتأمل هذه، رأى إمكانية النهوض من رماد ذنوبه، وإعادة بناء ما انكسر، واستعادة الشرف الذي فقده طويلاً.

فجأة، وكأن الواقع نفسه ينقسم إلى نصفين، انفتحت الأرض مرة أخرى لتكشف عن وجهها المظلم والمخيف. من أعماق الغرفة، خرجت أفعى أخرى، أشد سمًّا وأكثر شراسة من سابقتها. كانت تتلوى بحركات شريرة نحو أبو حازم، وكأنها تجسد ثقل الذنوب التي دُفنت طويلاً لكنها لم تُمحَ أبداً. ارتعش جسده، وأصبح عقله أسيرًا للرعب، بينما كانت عيناه تتابعان مشهد الكابوس الذي تجسد أمامه.

«لماذا اعتديت على الأطفال الذين كانوا يلعبون في الشارع؟» جاء صوت أبو نهاية، مخرقًا الصمت كالسيف القاطع.

«سأطلب عفوه... بمجرد أن أخرج من هذه الغرفة!» همس أبو حازم بصوت مرتعش، متمسكًا بخيط رفيع من الأعذار كأنه طوق نجاته الوحيد.

لكن قبل أن تتضح كلماته، ظهرت أفعى أخرى، أصغر حجمًا لكنها لا تقل فتكًا. تحركت بخبث نحو السرير الذي ترقد عليه زوجته. استبد بأبو حازم رعب جديد، أعمق من أي ألم جسدي. صرخ متوسلًا: «أرجوك! دعني أنقذها!»

لكن أبو نهاية، دون أن يبدي أي اهتمام، رد بنبرة حاسمة لا تقبل النقاش: «لا مفر لك من هذه الغرفة. لا الآن ولا في أي وقت.»

أبدًا؟» أعاد أبو حازم تكرار الكلمات، وكأنها قيود تحاصره، تغمره في يأس لا ينتهي.

عندما التفّت الأفعى حول عنقه، انكسر صوته وهو يصرخ يائسًا: «سأعيد المال الذي سرقته من جارنا، فادي! سأصلح كل شيء... فقط دعني أخرج!»

ابتسم أبو نهاية بسخرية وقال: «لماذا لم تقم بذلك وأنت خارج هذه الغرفة؟ الآن، أصبح الوقت متأخراً.»

ترددت كلماته في ذهن أبو حازم كصوت جرس الموت، وتحولت الغرفة إلى ساحة معركة بينه وبين أشباح ماضيه.

«أرغب في رؤية ابني حازم... أريد أن أعتذر له... أين هو الآن؟» قالها أبو حازم بنبرة يائسة.

«ولماذا؟» جاء رد أبو نهاية بنبرة مليئة بالسخرية. تريد أن تطلب منه إصلاح ما أفسدته؟ كان لديك الوقت الكافي... لكنك أضعته.»

مع مرور كل لحظة، كان الهواء يزداد ثقلًا، وكأن ندم أبو حازم يحيط به من كل جانب. وفجأة، ظهرت أفعى أخرى، أكبر حجمًا وأكثر هيبة من جميع الأفاعي التي رأها من قبل. كانت عيناها

تتوهجان كالجمرتين، تتحديانه أن يواجه الحقائق التي لطالما فرّ منها.

«كل أفعى هنا ليست سوى تجسيد لذنوبك التي دفنتها بعيدًا عن أنظارك، لكنها لم تختفِ عن روحك. لقد حان الوقت لمواجهتها، أبو حازم. الخلاص يبدأ بالاعتراف، لا بالهروب.»

في تلك اللحظة، انتاب أبو حازم شعورٌ خافتٌ لكنه مليء بالأمل، كشرارة تشتعل في داخله. همست أعماق روحه قائلة: الطريق إلى الخلاص، رغم ضيقه وامتلائه بالألم، لا يزال مفتوحًا لمن يجرؤ على السير فيه.

في تلك اللحظة، أدرك أن هذه الغرفة ليست مجرد سجن، بل هي محكمة لروحه. هناك، كانت ذنوبه شاهدة، وخوفه هو القاضي. ورغم كل هذا العذاب، برزت له حقيقة واضحة: مواجهة أخطائه ليست مجرد عقاب، بل هي الطريق الوحيد لاستعادة السلام الذي فقده منذ زمن طويل..

أبو نهاية: لماذا، يا أبا حازم، لم تستغل الفرصة عندما كانت الحرية بين يديك؟ لماذا، عندما كان العالم مفتوحـًا أمامك، لم تسعَ لإصلاح ما كان مكسوراً وتصحيح ما كان معوجـًا؟ كانت الفرصة أمامك، فرصة عابرة منحك إياها الله نفسه. ومع ذلك، في غفلتك، سمحت لها أن تنزلق من بين يديك كما ينزلق الرمل،

رغم حرصك على الإمساك بها. لماذا لم تتحرك قبل أن تُغلق هذه الجدران حولك، لتحدد مصيرك في هذا الفضاء الضيق؟

أبو حازم: أرجوك، سيدي! إذا كان بإمكانك، امنحني لحظة واحدة فقط للخروج، لحظة قصيرة لأستريح من هذه الغرفة. دعني أتنفس هواء العالم الخارجي، ثم سأعود بسرعة كما وعدتك. أرجوك، فقط لحظة واحدة!

أبو نهاية: ومع ذلك، يا أبا حازم، عندما كانت رياح الحرية تهب لصالحك، لماذا بقيت ساكنـًا؟ لماذا لم تتحمل المسؤولية حين كنت حراً، وحين كان الوقت لا يزال في صالحك؟ الآن، تجد نفسك محاصراً، عالقـًا في شبكة من صنع يديك، سجين خياراتك السابقة. سلاسلُك ليست من حديد، بل هي نتيجة أفعالك السيئة والفرص التي أضعتها. والآن، مهما بذلت من جهد، سيبقى الباب مغلقـًا، ولن تجد مخرجـًا.

أبو حازم: آه! يبدو أنني عالق في مأزق حقيقي، أكبر من قدرتي على الخروج منه.

أبو نهاية: صحيح، يا أبو حازم، إن أفعالك هي التي أوصلتك إلى هذه المرحلة الحرجة. أنت الآن على حافة الهاوية، تتأمل في أعماق قراراتك السابقة، ولا مجال للعودة. لكن تذكر هذا: في مثل هذه اللحظات، عندما تواجه الشدائد واليأس، يظهر المقياس

الحقيقي للرجل. ليست قيمتك ثابتة في لحظات الراحة، بل تتجلى في التجارب، في الصراعات، وفي المصاعب. هنا، في هذه العزلة، لديك الفرصة للتفكير، للتعلم، وللقيام من جديد. لذا، فإن أعظم الانتصارات لا تتحقق دون صراع، وأعمق التغيرات لا تأتي من تجنب المصاعب، بل من مواجهتها بشجاعة.

ستبقى هنا، وحيدًا مع أفكارك، لكن لا تعتبر ذلك سجنًا. إنها فترة اختبار، حيث ستُختبر روحك، وتُشكل، وتُصقل. وعندما يحررك القدر في النهاية، ستخرج أقوى وأكثر حكمة وقدرة مما كنت عليه سابقًا. لذا، استغل هذا الوقت، يا أبو حازم، ليس كعقوبة، بل كهدية—فرصة لمواجهة ماضيك، وتصحيح أخطائك، وتغيير مسار مستقبلك.

في أعمق زوايا الغرفة، جلس أبو حازم وكأن الزمن قد تجمد داخل هذه الجدران القاتمة. كانت عيناه تتلألأان بسرعة عبر الحجارة الباردة التي لم تتأثر، وكأنهما تبحثان عن إجابة لسؤال صامت - لماذا هو هنا؟ أي مصير قاسٍ قاده إلى هذا المكان الموحش المليء باليأس؟ كان صوته منخفضًا وثقيلًا كأفكاره، وكسر الصمت قائلاً: «لماذا جئت بي إلى هنا بهذه السرعة؟»

أبو نهاية، واقفًا في الزاوية كتمثال منحوت من الظلام، ابتسم ابتسامة غامضة، وكأن الإجابة كانت واضحة لديه، وكأن الحقيقة

التي يمتلكها تتجاوز إدراك الرجل الأسير أمامه. فكرت، حتى ولو للحظة، لكانت الإجابة بديهية. لقد كنت دائمًا مقدرًا لهذا، أن تكون هنا، وحدك، في الظلام، تواجه كل ما حاولت تجنبه طوال حياتك.»

ترددت الكلمات التي نطق بها بهدوء في الهواء الكثيف والمظلم، وكأنها تلتف حول قلب أبو حازم كالأصفاد. بدا أن الظلام يزداد كثافة من حوله، وكافح ليعيد إلى ذهنه كيف وصل إلى هذا المصير. كانت أفكاره مشوشة، وذهنه غارق في الضباب كأوراق تتطاير في عاصفة. أمسك بتلك الذكريات العابرة من ماضيه: خيوط الشعر الرمادية التي بدأت تتسلل إلى رأسه كالغزاة، وضعف حواسه من السمع والبصر، والهزال الذي بدأ يتسلل إلى جسده بقوة خفية. كانت تلك علامات واضحة، لكنه اختار تجاهلها، معتقدًا أنها مجرد تفاصيل تافهة سيزيلها الزمن.

اقترب أبو نهاية منه بخطوات هادئة ومدروسة، وصوته الآن يحمل نغمة حلوة لكنها مريرة. شيب الذي غزا شعرك، ضعف حواسك، وتراجع قوتك... كل ذلك كان يدل على هذه النهاية المحتومة. لكنك اخترت أن تعمي عينيك عنها.»

اخترقت الكلمات قلبه كخنجر بارد وثابت. شعر أبو حازم بأن نبضات قلبه بدأت تتسارع، وكأنها ستخرج من صدره من شدة

الفزع. بدأ عقله، الذي كان مليئًا بالتحدي، يتفكك. كان يعتقد دائمًا أن هناك وقتًا لتصحيح مساره وإصلاح أخطائه. ولكن الآن، أمام واقع الحياة القاسي والبارد، أدرك الحقيقة: الأبواب مغلقة، والوقت قد فات، ولا مجال للعودة إلى الوراء.

في محاولة يائسة للهروب من الظلام القاسي، ألقى نظرة على النافذة، وكأنه يترقب أدنى شعاع من النور يمنحه فرصة للتخلص من هذه الظلال الخانقة. لكن لم يكن هناك شيء، سوى الجدران الصلبة الثابتة، واليقين بأنه محاصر، ليس فقط في الغرفة، بل في اختياراته الخاصة. كان أسيرًا في شبكة ماضيه، ولا مفر له من ذلك.

ولكن، في خضم هذا الظلام الدامس، بدأ شعور غريب يتشكل في داخله. كان خفيفًا، كهمسة رقيقة تعبر عبر الرياح، لكنه كان حاضرًا – عزيمة هادئة وثابتة. ربما، فقط ربما، تكون هذه اللحظة، تلك اللحظة القاتمة من اليأس، هي نقطة التحول. ربما في هذه الوحدة ذاتها، في قلب هذا الظلام، تكمن الفرصة. فرصة للتفكير، للتعلم، والنهوض من جديد. فنحن ما نحن إلا مجموعة من اختياراتنا، وإذا واجهنا أظلم لحظاتنا بشجاعة، ألن نجد القوة للبدء من جديد؟

كان وحيدًا، نعم. لكن في هذه الوحدة، كانت هناك أيضًا فرص للنمو. الأبواب مغلقة، والطريق غير واضح، لكن بداخله بدأت

تتشكل إمكانية التحول. لم تكن هذه النهاية، بل بداية لشيء أكبر – شيء تم تشكيله في بوتقة التحديات. لقد وصل إلى مفترق طرق، ورغم أن الطريق الذي أمامه كان مليئًا بالشكوك، إلا أنه أدرك الآن أنه يمكنه اختيار السير فيه، مهما كانت آلامه، بعزيمة وشجاعة. قد تحيط به الليلة المظلمة، لكنه في قلبها، سيكتشف ضوء إرادته الخاصة.

بينما كنت جالسًا على كرسي خشبي متواضع، كان الظلام يكتنف الغرفة بشكل كثيف وثقيل. كانت عيناي متقدتين كالجمرات التي تقترب من الانطفاء، مشدودتين نحو أبي حازم الذي كان مستلقيًا على سريره، يبتلع الصمت وكأن الهواء نفسه قد توقف عن الحركة. كان السكون يكاد يكون خانقًا، والصوت الوحيد الذي يُسمع هو الإيقاع الثابت لأنفاسنا، الذي يملأ المكان كما يملأ مرور الزمن ذاته، الذي بدا وكأنه قد توقف. في تلك اللحظة، اختلط الحزن بالأسئلة غير المعلنة، وأصبح الهواء ثقيلاً بثقل ما هو قادم.

لقد كسرته أنا، أبو نهاية، بصوت هادئ وساكن، «كيف كنت تقضي أيامك يا أبا حازم؟» سألته بصوت خافت يكاد لا يُسمع، لكن في أعماقه كان هناك هدف خفي، وعزيمة غير مُعلنة، كما لو أن سؤالي كان المفتاح لفتح شيء أعظم.

حاول أبو حازم، الذي كان قلبه مثقلاً بعبء السنين، أن يسترجع شيئًا مفقودًا من ذاكرته. كانت عينيه تتجولان في النور الخافت، ضائعتين في اتساع الزمن، وكأنهما تسعيان للإمساك بشظايا من ماضٍ طالما كان محجوبًا. ثم همس بصوت مرتجف، كأنما هو ورقة تتساقط في مهب الريح، «ومتى كنت شابًا؟» بدا صوته بعيدًا، وكأن السؤال نفسه كان غريبًا عليه.

«نعم، عندما كنت شابًا»، أجبتُه، وكان صوتي باردًا كليالي الشتاء. «في المقهى، مع أصدقائك، كنتم تلعبون النرد والورق طوال الليل»، قال أبو حازم، وصوته الآن خافت ومصفى، كأن الذكريات قد فقدت حدتها، تاركةً فقط ظلاً لما كان.

في أعماق تأملاته، واصلت متابعته بعمق، كما يفعل من يسعى لاكتشاف جوهر الأمور من خلال أسئلة لا تعرف الاستسلام. ي المقهى؟ تلعبون الورق؟ من هم هؤلاء الأصدقاء؟» كانت كلماتي تتساقط عليه كالسكاكين، حادة وصلبة، مما أعاد فتح الجروح القديمة التي كانت قد بدأت في الالتئام. كل سؤال أطرحه بدا وكأنه يكشف عن قطعة جديدة من ماضيه، يسحبها إلى النور، كاشفًا عن حقيقة حياة استهلكها الندم.

أبو حازم، الذي غمرته آلام ذكرياته، شعر بقبضة الوحدة الباردة تضغط على قلبه. كأنه يعيش لحظات شبابه، حيث كل ثانية تغمره

مشاعر الندم، ووجوه أصدقائه—الذين شاركهم كل شيء—بدأت تتلاشى في الأفق، بعيدة وغير قابلة للوصول. «هم من علموني كل شيء» قال بصوت مختنق تحت وطأة حزنه، «لكنهم الآن، في لحظة حاجتي، لا أراهم.»

ابتسمت ابتسامة مريرة على شفتي، ولم أستطع أن أقاوم السخرية. «وأين هم الآن؟ هل بإمكانهم إخراجك من هذه الغرفة؟ هل يستطيعون كسر قيود القدر التي تحبسُك هنا؟» كانت كلماتي تصرخ في الفضاء، حادة كحد السيف، وأنا أجبره على مواجهة الواقع القاسي الذي قضى سنواته كلها هاربًا منه.

أغلق أبو حازم عينيه، وكأن قلبه كان على وشك الانهيار في تلك اللحظة. تدفقت الدموع على خديه ببطء، كأنها نهر مكسور يسيل في صمت. همس بصوت ضعيف يكاد يُسمع: «أنا منهم.» كانت كلماته خافتة للغاية، وكأنها لم تُقال على الإطلاق، بل شعُرت بعمق في روحه التي ضاعت في دوامة الندم والظلام.

لكن في تلك اللحظة، لم يكن أبو حازم مجرد رجل في الظلام، بل كان هو الظلام نفسه—محاطًا به، ومستهلكًا فيه. ومع ذلك، في أعماق كيانه، كان هناك وميض خافت من الضوء—بريق لم ينطفئ تمامًا. كان صغيرًا وهشًا، لكنه كان موجودًا. ربما كان دائمًا هناك،

تمامًا كما كان في شبابه، عندما بدا العالم مليئًا بالإمكانات وكان المستقبل مفتوحًا أمامه كطريق واسع.

وفي تلك اللحظة، بينما بدأت الدموع تتدفق بحرية من عينيه، شعر بشيء غريب يتسلل إلى أعماقه، شيء لم يشعر به منذ سنوات طويلة. هل يمكن أن يكون هذا هو ما ينتظره؟ هل يمكن أن تكون هذه اللحظة هي الفرصة التي يواجه فيها ماضيه أخيرًا، والتي يمكنه من خلالها أن يخطو تلك الخطوة المرتجفة نحو بداية جديدة؟

لقد كانت الأيام التي مضت مليئة بالأخطاء والأحزان، ولكن الآن، في هذه اللحظة بالذات، أدرك أنه يمتلك خيارًا. يمكنه أن ينهض من جديد إذا اختار ذلك. ففي عمق الحزن، توجد بذور الأمل، تنتظر أن تُزرع.

ظل أبو نهاية يحدق في أبو حازم بنظرة عميقة، وكأنه يراقب مرور الزمن، محاولًا كشف الأسرار المدفونة في حياته. لم يكن أبو حازم بالنسبة له مجرد رجل مسن، بل كان شخصية محاطة بالظلال. ومع كل لحظة تمر، كان أبو نهاية يغوص أعمق في لغز كيانه، ساعيًا لفهم ما يختبئ وراء تلك العيون. همس بصوت خافت يكاد يلامس الهواء: «هل كنت... ثريًا حقًا؟»

ابتسم أبو حازم ابتسامة غامضة، تلك الابتسامة التي لا تحمل جوابًا واضحًا، بل كانت كالوعد بحكايات لم تُروَ بعد. كانت

ابتسامته تشير إلى أبواب مغلقة عبر الزمن، تدعو الشجعان لاستكشاف ما وراءها. «نعمْ» قال أبو حازم، كنت أملك أكثر مما تتخيل.»

رفع أبو نهاية حاجبيه في دهشة، فقد غمر عقله بالأسئلة التي ملأت الفضاء بينهما كأنها ضباب كثيف. كان يرى في هذا الرجل قوة وهالة من الثراء، لكن لم يكن هناك تفسير واضح لكيفية حدوث ذلك. «من أين لك بكل هذا المال؟»

نظر أبو حازم إلى الأفق البعيد، وكأن عينيه تبحثان في تلك المسافات الشاسعة، وكأن الماضي قد انفتح أمامه. كان الأمر كما لو أن ذاكرته بدأت تفتح أبوابها واحدة تلو الأخرى، كاشفة عن ظلال لحظات مضت. همس قائلاً: «لنقل فقط، كنت في المكان المناسب في الوقت المناسب.»

لكن أبو نهاية لم يكن مقتنعًا. كانت شكوكه تتزايد، وبدأت الحاجة إلى الحصول على إجابة تؤرقه أكثر من أي وقت مضى. «أفهم. ولكن كيف، إذن، تمكنت من جمع هذه الثروة؟»

اقترب أبو حازم منه بسرعة غير متوقعة، وتلاقت نظراتهما في لحظة من الفهم الصامت. كانت الحكمة التي اكتسبها على مر السنين واضحة على ملامح وجهه، لكن خلف ذلك كانت هناك ندوب عميقة، بقايا روح أرهقها الزمن. «أسرار المهنة، يا صديقي.

أسرار المهنةقال، وصوته يحمل غموضًا أثار فضول أبو نهاية، مما دفعه للبحث عن المزيد من الحقيقة.

لكن أبو نهاية، الذي كان دائمًا يسعى لكشف الحقائق المخفية، لم يكتفِ بهذا الجواب الغامض. فقد ضغط عليه أكثر، وارتفع صوته ليصبح أكثر حدة، كأنه يتهمه بشيء أكثر خفاءً. «هل سرقت المال؟»

تلعثم أبو حازم في إجابته، وابتعدت عينيه عن نظرات أبو نهاية، وكأن الكلمات قد لامست وترًا عميقًا في داخله. «لا، لم أسرق رد بصوت يكتنفه الشك، ورعشة تعكس خوفًا مستترًا.

لكن أبو نهاية، الذي لم يكن راضيًا، ضغط عليه مرة أخرى، رافضًا التوقف. «إذًا، كيف حصلت عليه؟»

أغلق أبو حازم عينيه بإحكام، وكأن ثقل ذكرياته أصبح لا يُطاق. كانت اللحظة مليئة بالصمت، وكأن كل كلمة كانت تُخنق تحت وطأة الماضي. «كنت أرى فرصًا قال بهدوء، «فرصًا لم ينتبه لها الآخرون.»

ضحك أبو نهاية بسخرية، لكن سؤاله كان يحمل طابعًا مختلفًا هذه المرة، تحديًا. حقيقية؟ أم مجرد خداع واحتيال؟» كانت كلماته تخترق الهواء كخنجر، وكأن أبو نهاية قد أصدر حكمه

بالفعل، عازمًا على كشف الحقيقة المخفية، مهما كانت قاسية.

فجأة، فتح أبو حازم عينيه، وكانت نظراته تعكس مشاعر الغضب والألم، وكأن جرحًا قد انفتح في قلبه. عُبّر عنها من قبل، واهتزازات ندم قديم.

هز أبو نهاية رأسه ببطء، وكأنما كان يشعر بثقل الكلمات التي خرجت للتو. «لكنّك خنت ثقة الناس بك قال بحزن، كما لو أنه شهد مأساة عظيمة. كانت عبارته كالسوط الذي يجلد الزمن، تدفع أبو حازم لمواجهة الحقيقة القاسية التي حاول الهروب منها لسنوات طويلة.

نظر أبو حازم إلى الأرض، وكان يشعر بأن روحه مثقلة بعبء يفوق طاقته. في تلك اللحظة، خانته الكلمات، فلم يكن هناك أي تفسير قادر على استيعاب عمق ما عاشه، أو العار الذي أصبح يحيط بروحه. كان ثقل الندم يضغط عليه بشدة، وكأن الزمن قد حول ذكرياته إلى سلاسل من الألم، سلاسل لا مفر له منها.

أبو نهاية، بعينيه الحادتين كالشفرات وصوته البارد كظلام منتصف الليل، طرح سؤالاً قطع الهواء كخنجر، لا يترك مجالاً للتهرب: «ماذا فعلت بهذا المال الحرام؟»

تطايرت كلمات السؤال نحو أبي حازم كأنها صاعقة مزقت سكون المكان من حوله. ارتجف جسده واهتز بشكل لا يمكن

السيطرة عليه، وعيناه تدوران في الظلام المحيط به، تبحثان عن ملاذ، كأنه يحاول الهروب من ثقل الحقيقة التي كانت تقترب منه كعاصفة لا مفر منها. همس بصوت خافت ومكسور، كما لو كانت الكلمات تخرج منه على مضض: «اشتريت... ذهبًا لزوجتي، أم حازم.»

في تلك اللحظة، تجمد الهواء وكأن الزمن قد توقف عن التنفس. ظلت كلمات أبي حازم معلقة بينهما، كصدى من الندم والتبريرات الفارغة، غير قادرة على حمايته من قوة الحقيقة القاسية. نظر أبو نهاية بعينيه القاسيتين، ورفع حاجبًا، وكأن السؤال قد استقر في ذهنه، رافضًا أن يغادره. «لماذا؟» جاء صوته حادًا، خاليًا من العاطفة، لكنه مليء بحكمة قديمة تحمل في طياتها سنوات من التأمل في أحوال البشر.

شعر قلب أبي حازم وكأنه يغرق، إذ ارتفعت أمامه الذكريات المدفونة تحت طبقات من خداع الذات، وكأنها أشباح تتراقص أمام عينيه. أغلق عينيه بإحكام، كأنه يحاول أن يحجب تلك الذكريات، لكن الحقيقة ظلت تطارده بلا رحمة. في طياته حنينًا عميقًا، وشوقًا لشيء لا يمكن امتلاكه حقًا. الحب والأمان.»

تلك الكلمات، التي كانت تتلاعب بينهما كخيوط دخان رقيقة، لامست روح أبو نهاية ببرودة غير مبالية. لم يكن من النوع الذي

يقبل التبريرات السطحية أو الأكاذيب المريحة. كان بحثه عن شيء أعمق—إجابة قادرة على اختراق جوهر الموضوع وكشف الحقيقة المخفية. اقترب منه خطوة، وصوته الآن ثابت وحاسم، واستمر في الضغط عليه، مطالبًا بإجابة شاملة. «وماذا أيضًا؟»

كان أبو نهاية رجلاً يدرك تعقيدات الطبيعة البشرية. كان يعلم أن وراء كل كلمة، وكل عذر، تكمن حقيقة خفية—حقيقة لا يجرؤ على مواجهتها إلا الأكثر شجاعة. وكان مصممًا على إجبار أبي حازم على مواجهتها.

أحسّ أبي حازم بثقل الاستجواب يثقل كاهله، فغرق في صمت طويل، محاصرًا بقبضة ذنبه. استمر الصمت لفترة طويلة، خانقًا إياه بينما كان يتصارع مع ضميره، مقيدًا بتلك القيود غير المرئية. ثم، في لحظة من التحدي، رفع رأسه، وعيناه تتألقان بغضب شديد، حتى وإن كان ذلك ضلالًا. «ما هذا الهراء؟ ما هذا ‹المال الحرام› الذي تتحدث عنه؟»

ابتسم أبو نهاية ابتسامة مريرة، تلك الابتسامة التي تحمل في طياتها حكمة من عاش تجارب الحياة ورأى زوايا العالم المظلمة. «أنت تدرك تمامًا ما أعنيه. المال الذي استوليته من الشركة.»

كانت الكلمات كالصاعقة، وأطلق أبو حازم ضحكة مريرة،

بدت كأنها تعكس صدى حزن عميق لا يمكن التعبير عنه بالكلمات. «أخذت؟ لم أسرق. أخذت ما هو لي.»

هزّ أبو نهاية رأسه ببطء، ليس تعبيرًا عن الغضب، بل كان يعكس حزنًا عميقًا ناتجًا عن سنوات من مشاهدة الآخرين يقعوا في نفس الفخ. «ما الذي كان لديك؟ هل تظن أن المال يمكن أن يشتري الضمير؟»

سقطت هذه الكلمات كالصاعقة، تتردد في أعماق روح أبي حازم. للحظة، بدا أن كل شيء—الذهب، والمال، والأكاذيب—يبدأ في التفكك، ويذوب في العدم. فقدت الأوهام اللامعة للربح المادي بريقها في ضوء الحقيقة الساطع. لم يكن أبو نهاية يسعى للانتقام فحسب؛ بل كان هدفه أسمى من ذلك. كان يسعى لإحضار أبي حازم إلى مكان لا يستطيع فيه الهروب من نفسه. أراد أن يدرك أن الحقيقة، بغض النظر عن مدى إزعاجها أو ألمها، أغلى من أي ممتلكات مادية. لم يكن أي قدر من المال، مهما كان براقًا، قادرًا على تعويض قيمة الضمير النقي.

لم يكن أبو نهاية يطرح الأسئلة فحسب، بل كان يقود أبا حازم نحو لحظة من الحساب والتأمل الذاتي، لحظة قد تغير كل شيء. لم يكن الأمر يتعلق بإصدار الأحكام، بل كان يتعلق بالاستيقاظ.

كان يسعى لإظهار أن ضمير الرجل، شرفه ونزاهته، هو الشيء الوحيد في الحياة الذي لا يمكن انتزاعه أو شراؤه أو بيعه.

والآن، جاء الوقت المنتظر. كان أبو حازم واقفًا عند مفترق طرق نفسه، عاجزًا عن الهروب من الحقيقة التي تقترب منه. في أعماقه، كان هناك همس صوت الحقيقة الذي لا مفر منه: لا مفر مما فعله. لقد حانت لحظة الحساب، ولم يعد بإمكانه تجاهل عواقب أفعاله. أصبحت حقيقة اختياراته قوة حية، تطالبه بمواجهتها. حان الوقت لمواجهة الرجل الذي أصبح عليه—والرجل الذي لا يزال بإمكانه أن يختار أن يكون.

أبو حازم، الرجل الطيب ذو الروح المتعبة، استمر في نياحاته، وكأن كل كلمة تنساب من شفتيه كحجر ثقيل، مثقلة بأعباء حياة مليئة بالندم والحزن الذي لم يُعبر عنه. طفل، بقلبه النقي.» تردد صوته، ليس من الضعف، بل من ثقل أفكاره، وكأنه يتحدث أكثر إلى نفسه منه إلى رفيقه أبو نهاية. كانت تلك الكلمات اعترافًا بالذنب، إقرارًا من نوع ما، ملفوفًا في طلب للفهم أو ربما المغفرة. حدق عميقًا في مرآة ماضيه، يبحث يائسًا عن سبب، مبرر للخيارات التي اتخذها، لكن كلما بحث، بدا الأمر وكأنه هروب—هروب يائس من حقيقة روحه.

ظل أبو نهاية، الرجل قليل الكلام ولكنه حاد البصيرة، صامتًا. كان نظره، كالشفرات الحادة، يخترق طبقات واجهة أبو حازم

المبنية بعناية. وكأنه يستطيع أن يرى مباشرة في قلب الرجل، يغوص في جوهر يأسه، ويكشف الحقائق التي كان أبو حازم يتردد في مواجهتها. لم يكن الصمت الذي يخيّم بينهما مجرد غياب للصوت، بل كان حضورًا عميقًا، مثقلًا بالحكمة—حكمة ليست نابعة من الخبث، بل من رغبة صادقة في أن يواجه الآخر نقاط ضعفه.

ومع ذلك، ورغم وطأة هذا التمحيص الصامت، لم يستطع أبو حازم كبح جماح نفسه. تدفقت كلماته بسرعة، وكأنها لم تعد قادرة على الاحتباس. عن شيء مفقود—شيء بعيد المنال، شيء لا أستطيع تسميته. كانت تلك السيارة، كما ترى، ملاذي. لم تكن مجرد ملكية، بل كانت ملاذًا—وسيلة للهروب من الحقائق المؤلمة التي كانت تمزق قلبي. كانت طريقتي للهروب من نفسي، من الندم الذي كان يلاحقني في كل منعطف. كنت أعتقد أنها ستمنحني السلام، لكنها لم تفعل.

كانت استجابة أبو نهاية سريعة وحادة، وصوته بارد كالفولاذ، يخترق الهواء بدقة لا تترك مجالًا للتملص. «وماذا أيضًا؟» كان ذلك تحديًا—دعوة لأبو حازم للاستمرار، ليغوص أعمق، وليواجه كل خداعه لنفسه. ورغم أن السؤال كان بسيطًا، إلا أن ثقلَه بدا وكأنه يسحب الرجل إلى أعماق روحه.

تنهد أبو حازم، مثقلاً بأعباء حزنه، وأطلق زفرة عميقة تحمل في طياتها تعب ليالٍ لا حصر لها من السهر.

نظر أبو نهاية إلى أبو حازم بتعجب، حيث كانت عيناه تتفحصان وجهه وكأنه يحاول حل لغز معقد. كانت محاولته عبثية لفهم ما يعجز عن استيعابه. «من هم؟» سأل بصوت حاد، كالسيف، ينحت في الصمت بحدة.

رفع أبو حازم كتفيه بتعب، وكأن السؤال أصبح مألوفًا له لدرجة أنه لم يعد يحتاج إلى إجابة. قال: «الناس. من هم غير الناس؟» وكأنها حقيقة بديهية لا تحتاج إلى تفسير، وكأنها هواء يتنفسه الجميع.

لم يقتنع أبو نهاية بعد، فقد كان يراوده شعور غريب دفعه للبحث عن الحقيقة المخبأة خلف الكلمات. «أي ناس؟» ارتفع صوته بإلحاح، وكأنه يطارد إجابة تتلاشى بين أفكار أبو حازم.

أشار أبو حازم إلى الخارج، حيث كان أفق السماء يلتقي بالأرض في خط غير مرئي. كانت عيناه تتبعان ذلك الخط وكأنه يشاهد عالمـًا كاملاً يتكشف أمامه. «كل الناس، المارة في الشارع، الأطفال الذين يلعبون، العمال الذين يعملون. نحن جميعًا جزء من هذا العالم الكبير.» قالها بحماس، وكأن كل كلمة هي جزء من نشيد حياة يتناغم مع نغمة الكون.

ظل أبو نهاية يشكك في الأمر، ولم يكن راضيًا عن الإجابة. سأل: أين هؤلاء الناس الآن؟» وكأن البحث عن الحقيقة يتطلب المزيد من التعقيدات.

أغمض أبو حازم عينيه وكأنه يغلق بابًا على ذكريات بعيدة، محاولًا استحضار مشاهد لا تزال حية في ذاكرته. «خارج هذه الغرفة، يعيشون حياتهم. يضحكون، يبكون، يحبون، يكرهون. كل واحد منهم يحمل قصة مختلفة، وتفاصيله فريدة.» قالها بصوت مليء بالحنين، وكأن الكلمات خرجت من أعماق قلبه، تسعى لملامسة تلك اللحظات الحية التي تعيش في العالم الخارجي.

سأل أبو نهاية، بنبرة باردة وقاسية: «ماذا يفعلون؟» كان السؤال يبدو عاديًا، لكن في أعماقه كان يبحث عن إجابة تتجاوز مجرد التفاصيل.

فتح أبو حازم عينيه ببطء، وكأن ملامح الحقيقة تتجلى أمامه في صورة بانورامية واضحة. «نحن نؤدي أدوارًا في هذه المسرحية العظيمة التي تُدعى الحياة. لكل واحد منا دوره الخاص، وجميعنا نساهم في تلك الرواية الضخمة التي تُكتب بأيدينا.» قالها وكأن الحياة مسرح مفتوح، حيث نكون جميعًا ممثلين على خشبته، يؤدي كل منا دوره بصدق أو خجل، في لحظات متفاوتة من الوعي.

نظر أبو نهاية إليه بدهشة أكبر، وكأنه لا يصدق ما يسمعه، فقد بدا أن الحقيقة بعيدة عن متناول يده. «من هم؟» كان صوته مليئًا بالشك، وكأن أفق تفكيره يتسع لسؤال واحد فقط، لا يكل من تكراره.

ابتسم أبو حازم ابتسامة ساخرة، لكنها كانت تحمل في طياتها حكمة لا يمكن لأحد إنكارها. «من هم؟ تسألني من هم؟» كان صوته مشبعًا بالسخرية، لكنه كان يحمل عمقًا لا يُحتمل. «هم الذين يضحكون علينا، وهم الذين يحكموننا، وهم الذين يحددون مصيرنا. هم الذين يسنون القوانين التي نعيش وفقًا لها، وهم الذين يتحكمون في خيوط حياتنا في كل لحظة.»

أصر أبو نهاية على طرح سؤاله، فلم يستطع كبح فضوله الذي استحوذ عليه. «أين هؤلاء الأشخاص الآن؟» كانت نيته واضحة: كان يسعى لكشف الحقيقة المخبأة وراء هذا الغموض.

أبو حازم نظر إلى السقف وكأنه يتحدث إلى نفسه، يبحث عن إجابة قد لا يعرفها سواه. «هم في كل مكان، حولنا وداخلنا. هم جزء منا، ونحن جزء منهم. لا مفر من وجودهم، ولا مفر من الحقيقة التي نعيشها.» قالها وكأنها حقيقة لا يمكن الهروب منها، بل يجب علينا مواجهتها بعيون مفتوحة.

لم يتمكن أبو نهاية من فهم الأمر تمامًا، فقد كانت الأفكار تتراقص في ذهنه، لكنه لم يستطع تجميع قطع اللغز. «ماذا تعني بذلك؟» سأل، وكأن الكلمات لا تزال بحاجة إلى مزيد من التفسير.

أغمض أبو حازم عينيه مرة أخرى، وكأنه يحاول الاختباء من العالم الخارجي، ساعيًا لاختيار الكلمات بعناية قبل أن ينطق بها. قال: ولا أحد يجرؤ على كشف نفسه بالكامل. نحن نعيش في عالم مليء بالأوهام، والأقنعة التي نرتديها هي ما يساعدنا على الاستمرار في حياتنا. لكننا ننسى أحيانًا أن الحياة ليست مجرد عرض، بل هي واقع يجب أن نواجهه بكل ما يحمله من تحديات وأفراح.»

أبو نهاية نظر إليه بتركيز، وكأنه يحاول حل لغز معقد يصعب عليه فهمه. «أين زوجتك أم حازم؟» سأل بصوت هادئ، لكنه كان يحمل في طياته شيئًا من القسوة، كما لو أن كلماته لا تُحتمل، وكان يبحث عن إجابة قد لا تأتي.

صرخ أبو حازم بصوت يائس، وكأن العالم قد انهار من حوله. «أم حازم! أم حازم! أين أنتِ يا حبيبتي؟» ارتطمت كلماته بجدران الغرفة الصغيرة، وكان ينادي وكأن الأمل في وجودها هو آخر ما يربطه بالحياة. كان صوته يتردد كصرخة داخل قلبه، يبحث عن صدى في هذا الفراغ الموحش.

أجاب أبو نهاية ببرود، وكأن الحياة لا تعني له شيئًا. «أم حازم ليست هنا. لا تبحث عنها.» كانت كلماته كالعاصفة التي تدمر كل ما حولها، ولكن في عمقها كانت الحقيقة القاسية التي لا مفر منها.

نظر أبو حازم إليه بعيون مملوءة بالدموع، وهو يلهث بحثًا عن إجابة. «لماذا؟ أين ذهبت؟» كان صوته مشحونًا بالألم، وكأن كل كلمة تنبض بجراح عميقة في روحه. لم تستطع عينيه أن تخفي مشاعره، فقد كان يبحث عن سبب يفسر غيابها، وكأن الحياة التي يعيشها قد فقدت معناها من دونها.

ابتسم أبو نهاية ابتسامة باردة، لكنه كان يدرك أن ما يقوله ليس مجرد كلمات، بل هو جزء من الحقيقة القاسية التي يجب أن يواجهها أبو حازم. «لكل شخص مقدر له أن يذهب إلى مكان آخر.» كانت هذه الكلمات كالسياط التي تضرب قلب أبو حازم، لكنها لم تكن سوى توجيه قاسٍ نحو الواقع.

هز أبو حازم رأسه بقوة، وكأنه يحاول طرد هذا الواقع من ذهنه. «لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا. لا يمكن أن تتركيني وحدي.» كان يرفض تصديق أن الحياة ستستمر من دونها، وكأن جزءًا منه قد رحل بلا عودة. كانت تلك اللحظة بمثابة تحطم آماله وأحلامه، لكنها أيضًا كانت لحظة نضوج شخصي لا مفر منه.

أبو نهاية نظر إليه بتمعن، وكأنه يحاول استيعاب معنى وجوده في هذه اللحظة وفي هذا المكان. «أين زوجتك أم حازم؟» سأل مرة أخرى، لكن هذه المرة كان صوته مليئًا بالفضول، كما لو أن سؤاله يهدف إلى كشف المزيد من الجوانب المظلمة التي يخفيها أبو حازم عن نفسه.

أبو حازم نظر إلى الأرض وكأنه يبحث عن إجابة في أعماق نفسه، وكل جزء من قلبه كان يحاول أن يصدق أن الحقيقة أقسى مما يمكن أن يتحمل. همس قائلاً: أم حازم... انتقلت إلى مكان آخر.» كانت كلماته ضعيفة، لكنه كان يدرك أن هذه هي الحقيقة، حتى وإن كانت صعبة التصديق.

سأل أبو نهاية ببطء، وكأنه يفتح بابًا جديدًا من الأسئلة التي لا تنتهي. «مكان آخر؟ أي مكان تقصد؟» كان سؤاله محاولة منه للابتعاد عن هذا الواقع الذي بدأ يتضح أكثر في عيني أبو حازم.

رفع أبو حازم عينيه ببطء، وكأنه يتأمل صورة واضحة لمستقبل لا يمكن لأحد أن يمنعه. «مكان خالٍ من الألم والحزن. مكان تلتقي فيه الأرواح الطاهرة.» كانت كلماته مشبعة بالأمل، رغم الحزن العميق الذي يرافقها، كما لو كان يرسم أمامه صورة لمكان بعيد يسكنه الهدوء والسلام، بعيدًا عن كل ما عاناه من آلام في هذه الحياة.

تأمل أبو نهاية في حديثه، لكن عينيه كانتا مليئتين بالشك، وكأن كلمات أبو حازم ليست سوى محاولة يائسة للتمسك بما تبقى له من أمل. «هل هذا المكان بعيد؟» سأل، وكأنه يبحث عن إجابة تعيد له بعض الطمأنينة.

أغمض أبو حازم عينيه، وكأنه يسعى للوصول إلى ذلك المكان في ذهنه، حيث تبدو كل فكرة عنه كخيط رفيع يربطه بالأمل. «نعم، إنه بعيد جدًا. لكنها ستعود يومًا ما.» كانت كلماته مشبعة بالأمل، رغم أنها كانت محاطة بسحابة من الحزن، وكأنه يعبّر عن أن الفراق ليس أبديًا، وأن الحياة ستجلب معه في يوم من الأيام عودة الأمل.

كانت هذه الكلمات بمثابة نقطة التحول، اللحظة التي تداخل فيها الألم مع الأمل، والواقع مع الخيال. وكأن أبا حازم كان يدرك أن الحياة لا تتوقف عند نقطة معينة، بل تستمر رغم كل الظروف، والآلام، واللحظات التي تلتهمها الأيام.

كان أبو حازم يتمايل كالشجرة العارية التي تواجه عاصفة لا ترحم. كل كلمة تخرج من شفتيه كانت تمزق جزءًا من روحه المتعبة، وكأنه يستأصل ذاكرته من جذورها. عيناها، الغائرتان في محجريهما، كانتا تعبران عن ألف سؤال بلا إجابة، وصوته المبحوح كان يخرج من أعماق قلب مثقل، كأنه يهمس للعدم.

«تريد أن تبيع الذهب الذي اشتريته لها...» قالها بصوت منخفض، وكأن كل كلمة كانت سرًا يبوح به لعالم فارغ.

أجاب أبو نهاية، الشاب ذو الملامح الحادة كالصخر، ببرود جاف: «ممكن!»، وكأنه يتحدث عن موضوع لا يهمه.

لكن أبو حازم لم يستسلم، كان كالغريق الذي يسعى للإمساك بأي شيء قبل أن يبتلعه الظلام. «تريد أن تتزوج شخصاً آخر... تبيع سيارتي... والبيت الذي وضعت فيه كل مشاعري...»، قالها وعيناه تبحثان عن لمحة من الرحمة في وجه ابنه.

لكن الكلمات كانت تتلاشى في هواء الغرفة البارد، وكان الألم يتجلى في نبرات صوته المرتعشة. «هل تستطيع؟» سأل بصوت يملؤه الأنين، كأنه يبحث عن أمل غاب منذ زمن.

«يمكنك»، أجاب أبو نهاية بثقة لا تُضاهى، وكأنه يصدر حكماً نهائياً لا يقبل الطعن.

«لماذا؟» همس أبو حازم، وكأنه يبحث في كومة من الرماد عن شرارة تعيد الحياة.

«لأنك رحلت وتركتها وحدها»، قال أبو نهاية، كمن يرمي حجراً في بئر، ثم استدار وترك والده غارقاً في محيط من الألم والأسئلة.

وقف أبو حازم وحيداً، صامتـًا، وكأن الزمن قد تجمد من حوله. كانت كل كلمة يسمعها كالسيف الذي يمزق ذاكرته، وكل إجابة يتلقاها تعمق جرحـًا في روحه. كانت عينيه كزجاجتين مشروختين تعكسان صوراً من الماضي، ذكريات عن أيام كانت مليئة بالحب والدفء.

يتذكر اللحظات التي كانت فيها زوجته بجانبه، وضحكاتها التي كانت تملأ أرجاء المنزل، والأحلام التي بنياها معًا بصبر وجهد. كيف تحولت تلك الأيام إلى رماد بين يديه؟

«لأنك ذهبت وتركتها وحيدة»، كانت هذه الجملة الأخيرة كالصاعقة التي هزت كيانه. انهار أبو حازم كما تنهار شجرة قديمة أمام عواصف الرياح، وبدأت دموعه تتساقط كأمطار غزيرة لا تعرف التوقف.

بكى أبو حازم بحرقة لم يشعر بها من قبل. لم يكن بكاؤه فقط على ما فقده من ممتلكات وأحلام، بل كان أيضـًا على أبوّة شعر أنه خذلته، وعلى حبّ كان يعتقد أنه قوي بما يكفي ليصمد أمام جميع العواصف.

بين أنين الصمت وصوت الدموع، جلس أبو حازم يحدق في الفراغ، يبحث في أعماق قلبه عن إجابات لأسئلة لم يجرؤ على

طرحها. هل أخفق كأب؟ أم أن الحب، مهما كان نقيًا، قد لا يكون كافيًا أحيانًا لإنقاذ ما نعتز به؟

وهكذا، تركته الحياة كما تركه ابنه: وحيداً، يحمل أعباء الماضي وآلام الحاضر. ورغم كل ذلك، لم يتوقف عن البحث عن بارقة أمل... وعن معنى وسط هذا الخراب.

في ركن مظلم من الغرفة الضيقة، وقف أبو حازم مشيراً إلى صدره بيد مرتجفة، كأنه يحاول انتزاع كلمة عالقة بين قلبه وحلقه. كانت عيناه تغليان بمزيج من الحزن والأمل، وصوته ارتجف كوتر مشدود: «لم أذهب... أنت من أغلقت عليّ هذه الغرفة.»

كان حديثه يشبه أنين الريح، لكن أبو نهاية، ببروده المعتاد، رد بصوت قوي كالصخر: «لقد جئت إلى هنا.»

أبو حازم، وقد تراجع خطوة إلى الوراء كما لو كان يتلقى طعنة غير مرئية، نظر إليه بعينيه اللتين تتوسلان الرحمة: «أرجوك... أين أولادي؟ أريد أن أراهم.»

لكن كلمات أبو نهاية جاءت كسهام من الجليد تخترق الأمل: «أخبرتك، أنت الآن وحيد في هذه الغرفة... لا أولاد ولا بنات ولا زوجة. ما يبقى معك فقط هو عملك الصالح الذي قمت به خارج هذه الغرفة.»

ترددت صدى هذه الكلمات في أعماق أبو حازم كأصداء طبول الحرب، لكنه بالكاد استطاع السيطرة على نفسه، فتلعثم قائلاً: فهم من حديثك أنني لن أعود إلى أولادي وزوجتي؟»

أبو نهاية، بنظرة حادة وصوت واثق، قال: «لن تعود!»

تغيرت ملامح أبو حازم بشكل ملحوظ، وكأن رياحًا عاتية قد اجتاحت وجهه. همس بصوت مكسور: «إنها حقًا ورطة كبيرة.»

أبو نهاية، بابتسامة ساخرة تحمل في طياتها احتقارًا للألم، قال: «لا، ليست ورطة.»

لكن أبو حازم أصر بصوت مليء بالألم: «إنها أكبر ورطة!»

رفع أبو نهاية رأسه بنظرة متعالية، وكأنه قاضٍ يصدر حكمًا نهائيًا، وقال: ورطة لمن نسي هذه اللحظة.»

كانت الكلمات في الغرفة كالسيوف المتقاطعة، تخترق النفوس بلا رحمة. تحولت الغرفة إلى ساحة معركة خفية بين ماضٍ مثقل بالأخطاء وحاضر محاصر باليأس. كل جملة كانت كقنبلة تنفجر بآلام دفينة، وكل نظرة تحمل في طياتها قصة من الخذلان.

في ظلام الغرفة، كان صدى الكلمات يتردد كأصداء في بئر بلا قاع. أبو حازم، الذي كان في يوم من الأيام رمزاً للقوة والكرامة،

أصبح الآن أشبه بظل رجل يسعى جاهدًا للحفاظ على ما تبقى من إنسانيته.

لم يكن هذا مجرد حديث عابر بين أب وابنه؛ بل كان مواجهة حقيقية بين الأمل واليأس، بين الرجاء والاستسلام، بين الحياة والموت. لم تعد الغرفة مجرد جدران صامتة، بل أصبحت شاهدة على صراع الروح، حيث يواجه الإنسان ضعفه، وحيث يتحول الألم إلى مرآة تعكس كل ما فقد وكل ما يمكن إنقاذه.

مع كل كلمة، كان أبو حازم يشعر بأن الجدران تضيق حوله أكثر، وكأن الغرفة تغلق أبوابها لتضعه أمام أكبر تحدٍ في حياته: مواجهة الحقيقة بمفرده، بلا دعم أو مفر. ومع ذلك، كان في عينيه بريق خافت، يهمس له بأن الطريق لم ينتهِ بعد، وأن الغرفة ليست سوى اختبار... ربما يكون الأمل هو المفتاح الوحيد للخروج منها.

في الزاوية المظلمة من الغرفة المغلقة، جلس أبو حازم وكأنه يحاول تبرير مسيرة حياة طويلة. بصوت متقطع ومفعم بالأسى، قال: «كنت أظن أنني لن أُجبر على دخول هذه الغرفة يومـًا ما... لذا قمت ببناء بيت كبير وواسع... واشتريت أفضل سيارة... وجمعت ثروة طائلة... لأُسعد أولادي وزوجتي.خيبة أمل أكثر من كونها دفاعـًا عن نفسه.

لكن أبو نهاية، بهدوئه الذي يشبه خنجرًا مغروزًا في الصدر، قاطعه قائلاً: «ولكن أين هم الآن؟»

كان السؤال كالصاعقة التي أصابت أبو حازم، وأيقظت في داخله الحقيقة المريرة. ارتجف صوته وهو يكرر كطفل ضائع: «تركوني وحدي... تركوني وحدي...»

لم يكتفِ أبو نهاية بالصمت، بل ألقى نظرة مليئة بالازدراء والتفحص، وكأنه يتأمل لوحة مشوهة. ثم سأل: «هل سمعت عن هذه الغرفة المغلقة؟»

أومأ أبو حازم برأسه ببطء، كأنه يعترف بخطأه دون أي مقاومة. وبصوت خافت يشبه همس الرياح، قال: «سمعت عنها... لكنني لم أتوقف عن جمع المال. كنت أعتقد أن ذلك هو ما سيجلب لي السعادة.»

أبو نهاية، بصوت حازم يعكس فهمًا عميقًا، سأل: «لماذا؟»

استنشق أبو حازم نفسًا عميقًا، كأنه يغوص في أعماق بحر ذكرياته المثقلة، ثم أجاب بحزن: «كنت أطمح إلى توفير حياة سعيدة لي ولأولادي... لكنهم الآن بعيدون... تركوني وحدي في هذه الغرفة وتخلوا عني.»

لم يتغير تعبير أبو نهاية، بل ظل ثابتاً وكأنه يستعد لإصدار حكم قاسٍ. بصوت بارد، قال: «إذن كنت تعلم أنك ستنتهي هنا في يوم من الأيام.»

أبو حازم، الذي أثقل كاهله شعور الذنب، أغمض عينيه وتنهد بحزن عميق. تساقطت دموعه بصمت، كأنها مطر يغسل آثار الماضي. قال بصوت يملؤه الهزيمة: «نعم، سمعت عن هذه الغرفة من جارنا محمد... كان دائمًا يقول: إن مصير الإنسان ليس بيده.»

لكن أبو نهاية، وكأنه يوجه ضربة قاضية، أضاف بنبرة حازمة: «إذن كنت على علم... ومع ذلك، تجاهلت الأمر.»

الغرفة، التي بدأت تضيق ببطء، أصبحت مسرحًا لمواجهة ملحمية بين الماضي الذي لا يمكن تغييره والحاضر الذي لا يمكن إنكاره. كل كلمة كانت كضوء ساطع يكشف عن عيوب ظلت مخفية لسنوات طويلة.

أبو حازم، الذي قضى حياته معتقدًا أن المال والمظاهر هما المفتاح للسعادة، أدرك أخيرًا أن السعادة الحقيقية لا تكمن في بناء المنازل أو شراء السيارات، بل في إقامة العلاقات والحب الصادق. كانت كلمات أبو نهاية قاسية، لكنها حملت في طياتها الحقيقة، تلك الحقيقة التي لا يمكن لأي روح الهروب منها، مهما حاولت.

في تلك الغرفة المغلقة، كان الصمت هو السائد، والحقيقة تتجلى بوضوح. إنها الحقيقة التي تطرح سؤالاً على كل واحد منا: هل أنت مستعد لما ينتظرك؟!»

في زوايا الغرفة المظلمة، حيث لا نافذة تُطل على الأمل ولا باب يُفضي إلى النجاة، وقف أبو حازم متكئًا على جدار الصمت، بينما كان أمامه أبو نهاية، ذلك الشبح الذي يملأ المكان بهدوءه القاتل ونظراته التي تنغرس في أعماق الروح.

أغلق أبو حازم عينيه المثقلتين بالهموم، وتمتم وكأنه يتحدث إلى روحه المتعبة: «سمعت... سمعت...»

أبو نهاية، بصوت بارد يفيض باللامبالاة، طرح السؤال الذي لطالما تجنب أبو حازم مواجهته: «لماذا لم تستعد لهذه الغرفة؟»

رفع أبو حازم رأسه ببطء، كأنه يحمل جبال الندم على عاتقه، وأجاب بصوت مكسور بين شفتيه: «كيف؟»

كان الجو في الغرفة خانقًا وثقيلًا، وكأن الهواء نفسه يرفض أن يحمل الكلمات المتناثرة بينهما. كان وجه أبو حازم شاحبًا كصفحة من كتاب قديم طُمست كلماته، بينما بدا أبو نهاية كتمثال لا تتحرك ملامحه، يراقب الموقف بسخرية باردة.

قال أبو نهاية بصوت هادئ، لكن كل كلمة كانت كخنجر: «كان يجب عليك تجهيز هذه الغرفة... إضافة الأثاث الفاخر، الوسائد

الناعمة، وكل وسائل الراحة. هذه الغرفة هي حياتك الأبدية الآن. هنا ستبقى... إلى ما شاء الله.»

ارتجف صوت أبو حازم وهو يجيب، كطفل يسعى لفهم أخطاء لم يستطع إدراكها: «لكنني أعددت منزلاً كبيرًا... خارج هذه الغرفة. كان ذلك هو منزلي الحقيقي. هناك حيث كنت أعيش مع عائلتي، حيث كنت سعيدًا...»

توقف أبو نهاية للحظة، ثم قال بنبرة تجمع بين الاستفهام والتوبيخ: «وأين يقع هذا المنزل الآن؟»

أشار أبو حازم إلى الأفق الذي بدا كأنه حلم بعيد: «هناك... في العالم، بعيدًا عن هذا المكان... حيث تشرق الشمس، وحيث تستمر الحياة.»

ابتسم أبو نهاية ابتسامة غامضة، وأشار بيده نحو شاشة صغيرة في الزاوية. «تعال، دعنا نكتشف من يسكن ذلك المنزل الآن.»

تقدم أبو حازم بخطوات ثقيلة نحو الشاشة، وعيناه مليئتان بالرغبة في الاطمئنان والخوف من مواجهة الحقيقة. وعندما ظهرت الصورة أمامه، تجمد في مكانه. رأى امرأة كانت زوجته، جالسة بجانب رجل غريب. كان الغريب يضحك، بينما كانت هي تنظر إليه بطريقة لم تنظر بها إلى أبو حازم يومًا.

شعر أبو حازم بأن الغرفة تزداد ضيقًا عليه، وكأن الجدران تقترب منه لتخنقه. همس بصوت مبحوح، يكاد يكون بكاءً: «هذا منزلي... وهذه حياتي...»

أبو نهاية، دون أن يطرف له جفن أو يُظهر أي مشاعر، قال بصوت حازم: «ذاك المنزل لم يعد ملكًا لك. أنت الآن هنا، هنا حيث تحصد ثمار ما زرعته.»

في تلك اللحظة، أدرك أبو حازم أن الغرفة لم تكن سوى تجسيد لما أهمله في حياته. لم تكن الغرفة مظلمة، بل كانت تعكس روحًا لم تضيئها المحبة أو العطاء.

« شعر أبو حازم وكأن قلبه ينزف حبرًا أسود، يتدفق على الورق الهش لحياته التي أصبحت مشوهة بشقوق لا تُحصى. وقف ثابتًا أمام الصورة التي ملأت الشاشة، وعيناه تتبعان تفاصيلها بيأس رجل يتشبث بأوهام، آملاً أن يعيد رسم ملامح عالمه المنهار. كانت الصورة، بصرامتها وقسوتها، أكثر من مجرد تذكرة لما فقده؛ بل كانت مواجهة، انعكاسًا حيًا للخيارات التي اتخذها وللحب الذي أهمله.

قال أبو نهاية: «هذه أم حازم»، بنبرة رقيقة تحمل في طياتها حزنـًا غير معلن، كهمس الريح بين أغصان الأشجار العارية في

فصل الخريف. ورغم خفوت صوته، إلا أن كلماته دوت في أذن أبو حازم كجرس بعيد، يرن مع كل دقة بحقيقة لم يعد بإمكانه الهروب منها. كانت عيناه متمسكتين بالصورة، وكأنها قادرة على إعادة كتابة القصة المؤلمة التي تتكشف أمامه.

سأل أبو حازم، وصوته يرتجف بمزيج من عدم التصديق والأمل الضعيف، كأنه يتوسل للحصول على إجابة يستطيع تحملها: «ومن يكون هذا بجانبها؟»

أجاب أبو نهاية بصوت هادئ ودقيق، كأنه مشرط جراح: «هذا هو زوجها الجديد.»

كانت كلمات أبا حازم كالصاعقة، كل مقطع منها يمزق أعماقه تاركًا جروحًا نازفة. همس قائلاً: «لا...»، كان إنكارًا خرج من بين شفتيه كدعاء ليتظاهر بعدم الاكتراث. تلعثم صوته، لكنه كررها، أكثر لنفسه من أي شخص آخر: «ما زلت زوجتي.» كانت تلك الكلمات بمثابة توسّل، تعويذة يأمل أن تعيد الزمن إلى الوراء وتمحو الأخطاء التي قادته إلى هذا الموقف.

ظل أبو نهاية واقفًا، وكانت نظرته حازمة لكنها خالية من القسوة. سقطت كلماته ببرود، كيقين قاضٍ ينطق بالحكم. قال: «لم يعد هناك مجال. لقد تركتها، والآن أصبح رجل آخر في مكانك.»

كانت الحقيقة قاسية، تخترق الأعماق أكثر من أي سيف. ارتجف صدر أبو حازم بينما انهمرت دموعه بحرارة ومرارة، وقد نُقشت على وجهه خطوط الألم. تلعثم قائلاً: «ولكن بيتي... حياتي...»، وصوته كان يختنق تحت وطأة اليأس، حيث كانت كل كلمة محاولة يائسة للتنفس في غرفة تخنقه.

قال أبو نهاية: «نعم، منزلك الآن أصبح ملكًا لشخص آخر.»

تساقطت الكلمات كالمطارق على أنقاض قلب أبي حازم، محولة إياه إلى غبار. ومع ذلك، بينما كان واقفًا هناك محطمًا ومغمورًا، شعر بشيء يتحرك في أعماقه—وميض من الفهم، وضوح مؤلم لكنه مُغير.

في تلك اللحظة، أدرك الثمن الحقيقي لإهماله. الحب الذي اعتبره أمرًا مسلمًا به، واللحظات التي أضاعها، والحياة التي بنى أسسها على مطامع فارغة من الثروة والمكانة، كلها قادته إلى هذه المواجهة. لم تعد الصورة على الشاشة مجرد صورة؛ بل أصبحت مرآة تعكس عواقب اختياراته، وتدفعه لمواجهة الحقيقة التي طالما فرّ منها.

ومع ذلك، في خضم يأسه العميق، كان هناك شعاع من الأمل. حتى في أحلك لحظاته، بدأ أبو حازم يدرك حقيقة جوهرية: على الرغم من أن الماضي لا يمكن تغييره، إلا أن المستقبل لا يزال

مفتوحًا أمامه. لم تكن إخفاقاته، مهما كانت مؤلمة، تعكس مجمل وجوده. بل كانت دروسًا، مهما كانت قاسية، يمكن أن تقوده نحو طريق الخلاص.

بينما كانت الدموع تتساقط بلا انقطاع، قطع عهداً صامتـًا مع نفسه. لن يسمح لهذا أن يكون نهاية قصته. سيقوم من بين أنقاض أخطائه، أقوى وأكثر إصراراً على العيش بغاية ورحمة ونزاهة. لأنه، رغم نزيف قلبه، لا يزال ينبض—ومادام ينبض، فهناك أمل في الشفاء، وإعادة البناء، واستعادة الأجزاء التي فقدها من ذاته.

أغلق أبو حازم عينيه بإحكام، وكأنه يحاول أن يسدل ستائر روحه على ما يراه. كانت الصور تتراقص أمامه كأشباح لا تعرف الهدوء: وجه زوجته مبتسمـًا ابتسامة عريضة، المنزل الذي بنياه معـًا، والسيارة التي شهدت على أحلامهما. كل شيء يذوب كثلج تحت أشعة الشمس الحارقة، تاركـًا وراءه بركة من اليأس. «لقد أخذت كل شيء»، همس بصوت خافت، كأنه يتحدث إلى نفسه أكثر من حديثه إلى أبو نهاية. «منزلي، سيارتي... كل شيء كافحت من أجله.»

أبو حازم يشعر وكأن قلبه قد أصبح حجرًا ثقيلاً يسحبه إلى قاع بئر مظلم. كل كلمة ينطق بها أبو نهاية هي طعنة جديدة تغرس في جسده المتعب. ى في كهف مظلم.

أبو حازم، في محاولة يائسة للهروب من واقعه المرير، ينطق بكلمات متقطعة وكأنها شظايا زجاجية تتساقط من فمه. أرجوك! دعوني أخرج من هذا المكان!» صرخ، وصوته يتردد في أرجاء الغرفة، يرتطم بجدرانها وكأنه يبحث عن منفذ، عن أي شق ضئيل من الأمل.

أبو حازم: «لا! لا يمكن أن تكون هذه هي النهاية. هناك شيء غير صحيح، أليس كذلك؟»

أبو نهاية: (بصوت هادئ وواثق) «الحياة، يا صديقي، مليئة بالنهايات. بعضها مؤلم، وبعضها يأتي بشكل مفاجئ. لكنها جزء لا يتجزأ من رحلتنا.»

يغمر الظلام الغرفة، يلتصق بالجدران ويخنق كل شعاع من الأمل. الضوء الوحيد ينبعث من شاشة صغيرة تعرض صورته السعيدة، وكأنها ذكرى باهتة لحياة أخرى.

بينما انحنى على ركبتيه، تدفقت الدموع من عينيه كالنهر الجارف، تنهمر على وجهه المتعب، كل قطرة تمثل شهادة على سنوات من الكفاح والحزن والألم الذي لم يُعبر عنه. شقت الدموع مساراتها عبر الأخاديد العميقة في وجنتيه، وكل خطٍ يحمل قصة أحلام ضاعت مع مرور الزمن، وآمال تحطمت، ورحلة أرهقته.

لحيته البيضاء، التي أصبحت رمزًا للحكمة والتعب، وشعره الرمادي، الشاهدين الصامتين على العديد من المحن، يحملان عبء حياة عاشها تحت وطأة هموم ثقيلة لا تُحتمل. كان جسده يرتجف كما لو كان عالقًا في قبضة عاصفة عاتية تهدد بتفتيته، ومن أعماق روحه، ارتفع صوته—صرخة مليئة باليأس، لكنها تحمل لمحة خفيفة من الأمل: «أدعوك يا رب! أرني رحمتك!»

في تلك اللحظة، ساد صمت عميق، كان عميقًا لدرجة أن الهواء نفسه بدا وكأنه توقف عن الحركة، وكأن العالم بأسره تجمد لحظة ليشهد على صرخته. كان السكون ثقيلاً، كما لو أن الفاصل بين الرعد والبرق قد امتد إلى الأبد. لم يصل أي جواب، لا صوت من السماء، ولا راحة من الأرض التي تحت قدميه. كانت عيناه، المملوءتان بالشوق، تتنقلان عبر السقف المظلم، تبحثان عن أي علامة، مهما كانت خافتة، تشير إلى تدخل إلهي قد يرافقه. لكن السماء ظلت صامتة، والأرض تحت قدميه كانت تمتص كل ما تبقى له من قوة، مما جعله يشعر بالعزلة أكثر من أي وقت مضى.

لكن وسط الظلام الكثيف الذي كان يحيط به، تحرك شيء عميق في داخله—نور خافت للغاية، يكاد لا يُعتبر نورًا، لكنه كان يلمع بثقة لا يمكن إنكارها. لم يكن هذا النور ناتجًا عن الخارج؛ بل انبثق من أعماقه، إدراك هادئ لكنه قوي: هذه اللحظة من اليأس

لم تكن نهايته، بل كانت نقطة تحول. لم تكن استسلامًا؛ بل كانت تجربة، مكانًا صعبًا حيث ينتظر شيء أقوى أن يولد.

رغم أن دموعه بدت كقطرات حزن عابرة، إلا أنها كانت في الحقيقة أنهارًا جرفت معها كل ما علق بقلبه القاحل من ذنوب وعيوب وجروح عميقة من ماضيه. انهياره على الأرض، الذي بدا كأنه هزيمة نهائية، كان في الواقع بداية لشيء أعظم. صرخته التي اخترقت صمت الليل لم تكن صرخة رجل استسلم، بل كانت صرخة رجل وجد الشجاعة ليطلب القوة من شيء أكبر منه، متخليًا عن كبريائه في سعيه نحو الهداية الإلهية.

بعد ما بدا وكأنه أبدية، نهض ببطء، حيث كانت كل حركة مدروسة بعناية، وساقاه ترتجفان، لكنه كان مصممًا على المضي قدمًا. بدا كما لو أن العبء الذي كان يثقل كاهله قد زال، وعلى الرغم من أن العالم من حوله ظل كما هو، إلا أنه رآه بعينين جديدتين. الظلام، الذي كان في يوم من الأيام عدوًا مخيفًا، أصبح الآن أقل تهديدًا وأكثر فرصة—مساحة شاسعة تنتظر ضوء فجر جديد. في تلك اللحظة، أدرك: أن الفراغ الذي يحيط به لم يكن فراغًا من عدم، بل كان فراغًا مليئًا بالإمكانيات. كان ذلك الصمت بمثابة الهدوء الذي يسبق العاصفة، والسكون الذي يسبق ظهور هدف جديد.

في الغرفة المظلمة، حيث كانت الجدران تمتص صرخاته، أدرك أبو حازم أن قصته لم تنتهِ بعد. الدموع التي انهمرت كنجوم ضائعة في السماء الحالكة لم تختفِ إلى العدم، بل حملت في طياتها بذور التحول. لم تكن مجرد بقايا حزنه، بل كانت بداية أفق جديد، أفق لم يُرَ بالكامل بعد، ولكنه بالتأكيد سيشرق مع بزوغ الفجر.

لأول مرة، لم يشعر بالانكسار، بل بالقوة في استسلامه. الظلام، الذي كان في يوم من الأيام حصنًا لا يمكن اختراقه، أصبح الآن كرحم يلد حقيقة أعظم. في أعمق زوايا يأسه، وجد الشفاء؛ وفي تواضعه، اكتشف الصمود. لم يعد أبو حازم الرجل المهزوم الذي كان يعتقد نفسه يومًا. لا، هو شرارة نار جديدة تتألق من بين رماد ماضيه. وقف كطائر الفينيق، مستعدًا للنهوض من أعماق اليأس، وقلبه يتسع بأمل جديد، وإيمانه لا يتزعزع، وروحه أقوى من أي وقت مضى. لم يعد مقيدًا بقيود ماضيه، بل أصبح حرًا ليحتضن المستقبل بشجاعة وإيمان. لم تكن هذه نهاية رحلته، بل كانت مجرد بداية.

Q A S E M K O U F A H I

وحده الشاطئ يبكي

الرواية «وحده الشاطئ يبكي»، هي عمل أدبي حافل بالتأملات العميقة حول: الوحدة والفقدان، والتعلق بالأمل في وجه قسوة الحياة. تدور أحداث الرواية في قرية ريفية هادئة، حيث تتمازج بساطة الحياة اليومية مع تعقيدات المشاعر البشرية بين جدران بيت طيني قديم. يروي الكوفحي قصة أبي حازم وأم حازم، وهما زوجان مسنان يحملان بين طيات صمتهما ذكريات مؤلمة عن غياب أبنائهما وضياع الأحلام. يُبرز الكاتب من خلال شخصياتهما العلاقة المتينة بين الماضي والحاضر، وكيف تعكس الطبيعة بسكونها وشحوبها عمق المشاعر التي تسكن القلوب.

تتناول الرواية موضوعات إنسانية شديدة الوقع مثل الحنين للأبناء، تأثير الغياب على الروح، وألم الانتظار الممتد عبر الزمن بأسلوب مليء بالصور الشعرية والتفاصيل الدقيقة، ينقل الكاتب القارئ إلى عالم يمزج بين جمال الطبيعة وبؤس الوحدة، حيث يتحول كل مشهد ريفي إلى لوحة نابضة بالرمزية، كما يركز العمل على فكرة التمسك بالأمل، رغم قسوة الواقع الذي يثقل كاهل الشخصيات، مؤكدًا أن الزمن يحمل في طياته فرصًا للتأمل والشفاء.

«وحده الشاطئ يبكي» ليست مجرد قصة عن الألم، بل هي رحلة أدبية تغوص في أعماق النفس البشرية وتستعرض المعاناة الإنسانية بلغة تنبض بالحياة، وتترك القارئ أمام تساؤلات وجودية عميقة حول الحب، والخسارة، والأمل الذي يتجدد رغم كل شيء.

سمير اليوسف

دار الخليج للنشر والتوزيع
الأردن: عمّــــان، العبدلي تلفاكس: 00962 6 464 7559
daralkhalij daralkhalij1998 daralkhalij@gmail.com
تتوفر أصداراتنا على:
جملون
9 789923 232392

Designed By S. Alyousef